روائع المسرح العالمي

١١

الأم

مسرحية تشيكية

تأليف : كارل تشابك

ترجمة : محمد عزيز رفعت

مراجعة : صالح زكي

تقديم : د. رشدي خشبة

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

الأم

تأليف

كارل تشابك

The MOTHER

By

KARL CAPEK

مقدمة

بقلم

الأستاذ دريني خشبة

كارل تشابك

والمسرح الحديث في وسط أوربا

كارل تشابك Karel Capek مؤلف « مسرحية الأم » مخرج وكاتب مسرحي وقصاص وصحفي تشيكوسلوفاكي من مواليد ماليه سفاتونوفيس إحدى مدن بوهيميا التي كانت في وقت مولده (٩ يناير سنة ١٨٩٠) ولاية من ولايات إمبراطورية النمسا والمجر ، تلك الإمبراطورية التي منيت بالهزيمة في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) وتمزقت شذر مذر ، وقامت على أنقاضها جمهوريات تشيكوسلوفاكيا والنمسا والمجر ويوغوسلافيا ، كما انسلخت عنها أجزاء أخرى لتنضم إلى بلاد أخرى .

وكان والد تشابك طبيباً ملحوظ المكانة فأحسن

تربية ولده الذى تخرج فى أحسن جامعات أوروبا فى ذلك العهد ، إذ التحق بعد الفراغ من مرحلة تعليمه الثانوى بجامعة تشارلز المشهورة فى مدينة براغ — عاصمة تشيكوسلوفاكيا الآن — ثم تخرج فى جامعة برلين ثم فى جامعة السوربون بباريس ... ومن هذا نلاحظ أنه كان يجيد الألمانية والفرنسية إلى جانب لغته التشيكية .

ولم تكد تقوم جمهورية تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩١٨ حتى وهبها تشابك روحه وقلبه ودمه وقلمه وأدبه ... فكان بهذا أكبر نصير لرجلها البطل ورئيسها العظيم الرئيس توماس جريجيو مازاريك الذى كان همه ، كما كان هم تشابك ، قيام ديمقراطية سليمة قويمة عظيمة ... وقد كان لهما ما أرادا .

وكان أول اشتغال تشابك بالصحافة عندما اختير عضواً فى الهيئة الرسمية المشرفة على الصحافة التى أنشئت سنة ١٩١٩ لتكون رمانة الميزان بين التيارات الحزبية المتناحرة والتى كانت تعصف بالبلاد ذات اليمين وذات اليسار — وبالأحرى بين الحمر وبين البيض ، مما لم يغب خطره عن فطنة الرئيس مازاريك وفطنة تشابك ، فأنشئت تلك الهيئة لتوحيد الكلمة وتوجيه الصحافة إلى ما ينفع القضايا الوطنية وخدمة أهدافها ...

وقد ظل تشابك عضواً فى هذه الهيئة من سنة ١٩١٩

إلى سنة ١٩٢٣ حينما عين رئيسا لتحرير أكبر صحيفة فى البلاد (Narodni Listy) وحيث ظل من أكبر أنصار ما زاريك وإدوارد بنس .

على أن تشابك عمل بالمسرح قبل ذلك كله . . . إذ لم تكد الحرب العالمية الأولى تندلع نيرانها حتى كان يعمل مخرجاً بمسرح البلدية فى مدينة براغ ... وظل هناك حتى أنشأ مسرحه الخاص (مسرح الفن فى ڤينوهرادى) وفى هذين المسرحين كان تشابك بمد المسرح التشيكى بتلك الدماء الحارة الدافئة التى سرت مسرى الدم فى كيانه منذ تلك السنين التى قضاها فى برلين وفى باريس .

• • •

ونهضة المسرح التشيكى جزء من نهضة المسرح فى وسط أوربا . ومن ثمة وجب أن نلم إلمامة خاطفة بتلك النهضة فنذكر أن شعوب هذه البلاد خليط من الأجناس السلافية (أى الصقلبية) والأجناس اللاتينية ، ومن هنا اجتمع لها نور الشرق وجده ، وإقباله على العمل ، وهيامه بالحرية ، وخفة روح الأمم اللاتينية ومرحها وهيامها بالفنون والأدب والشعر والموسيقى . ونهضة المسرح فى تلك البلاد ترجع إلى ما ترجع إليه تلك النهضة فى الأمم اللاتينية إلى عصر النهضة ، أى إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . . . إلا أن غزوات الأتراك التى وصلت إلى قلب

نفسها خلقت نكسة فى تلك النهضة وأوقفت تيارها ولا سيما فى البلاد التى نكبت بظلام الحكم التركى وجهالاته التى ابتلينا نحن بها فى الشرق العربى أضعافاً مضاعفة ... وماذا كان الأتراك يعرفون من الفنون ، ولا سيما المسرح ، أكثر من القره قوز وخيال الظل ... وهما مع ذلك مما سرقه السلطان سليم من مصر ؟

على أن شيئاً من الحياة دب فى دنيا الفنون مرة أخرى فى تلك البلاد ، ولا سيما بعد أن أفاقت أوروبا من أهوال الحروب النابليونية التى كان مؤتمر فينا (١٨١٥) خاتمة لها ، وأخذت أعلام السلام ترفرف مرة أخرى ، وإلى حين ، على هذه الأصقاع ، وأخذت الفرق المسرحية الألمانية ، وبعض الفرق الفرنسية والإيطالية تزورها وتعرض فنها فيها مما كان له أثره فى إيقاظ الحاسة الفنية النائمة وتشمير الشباب عن ساعد الجد لخلق المسارح القومية والمسرحية القومية .

* * *

ففى بولندة التى اقتسمتها روسيا وبروسيا والنمسا فى مطالع القرن التاسع عشر كان الكتاب المسرحيون يكثرون من كتابة المسرحيات التى يستنهضون فيها الهمم ويتنبأون بعودة استقلال بلادهم ، ولا يبالون بكتابة المسرحيات التى تحض على الثورة ضد المستعمرين الذين استباحوا

استقلال بلادهم . . فإذا منع الرقيب تمثيل تلك المسرحيات راحوا يطبعونها بالآلاف ويوزعونها للقراءة . ومن أشهر كتاب هذه المسرحيات الوطنية الكاتب چول چوز سلوفاكى Juljusz Slowacki (١٨٠٩ – ١٨٤٩) الذى دعا إلى الثورة المسلحة فى مسرحيته « كوردچان » وطالب ببذل المهج والأرواح فى سبيل استنقاذ استقلال الوطن من الدول الثلاث مهما بلغت التضحيات . وسنرى كيف ترددت تلك الروح العظيمة فى مسرحية « الأم » عند ما يجىء دور الكلام عن « تشابك » . وقد كتب سلوفاكى طائفة أخرى من المسرحيات الرومنسية التى نسج فيها على منوال شكسپير ، ولعله كان متأثراً أيضاً بالكاتب الألمانى شيللر فى مسرحياته الرومنسية الوطنية .

وإذا تركنا كتّاب الملاهى البولنديين جانباً – وما أعظمهم فى هذا الميدان وما أرقهم – وجدنا من كتاب المسرحيات الوطنية العظام ، بل أعظم الكتاب الفنانين فى ميدان المسرحيات الوطنية جميعاً الكاتب ستانسلاف فسپيانسكى Stanislaw Wyspianski (١٨٦٧ – ١٩٠٧) ذلك الذى كان زهرة جماعة « بولندة الفتاة » وزائدها الأول . . . وهى الجماعة التى أيقظت الوعى الحر فى بولندة كلها ، وأقضت مضاجع الروس والبروسيين والنمسويين فراحوا ينكلون بجميع البولنديين ويهجرونهم من بلادهم ، ويأتون بأعداد

ضخمة من مواطنيهم ليحلوا محلهم . . ومع ذلك لم يفلحوا فى أغراضهم ، وظلت قلوب البولنديين عامرة بالإيمان بوطنهم ، وذلك بفضل تكاتف رجال الأدب والفن والفكر ، الذين كانت تتألف منهم جماعة بولنـــدة الفتاة ، وعلى رأسهم فسيانسكى الذى كان يجيد ألف حرفة وحرفة كما يقولون ، إذ كان كاتباً مسرحيًّا وطنيًّا عظيما ، ومصمم ملابس مسرحية ومصمم مناظر وديكورات مسرحية ومديراً مسرحيًّا ومخرجاً مسرحيًّا لا يشق له غبار . . . كما كان أديباً وخطيباً مفلقاً يحرك قلب الجماهير . . . أضف إلى ذلك كله أنه كان مصوراً عظيما وشاعراً ومخططاً للمدن ورساماً لجدران الكنائس وأبهاء القصور العامة ، ورساماً على زجاجها ، ومصمم أثاث من الطراز الأول (! !)

ومن أعظم مسرحياته الوطنية « ليلة نوفمبر » التى صور فيها ثورة نوفمبر البولندية سنة ١٨٣٠ والتى زلزلت قلوب البولنديين كما هزت الأرض تحت أقـــدام المستعمرين . ولمـــا كانت الرقابة تقف لحركات التحرير بالمرصاد فى بولندة ، فقـــد كان فسيانسكى مضطراً إلى نشر مسرحياته فى باريس . . حتى تلك المسرحيات التى كان خاضعاً فيها لتأثير الكتاب الإغريق القدامى وتأثير شيكسبير . وقد كان يتخذ موضوع بعض الروايات اليونانية وسيلة لعرض بعض قضايا بلاده المغتصبة كما أوضحنا ذلك من

قبل ونحن نكتب عن جان جيرودو ، كما كان يدخل بعض الشخصيات الكلاسية فى مسرحياته القومية كما فعل ذلك فى مسرحيته « ثورة نوفمبر » . وقد كان فسبيانسكى يكثر فى مناظره من الجاميع البشرية الحاشدة لكثرة ما كان يصور قضايا وطنه ويعرض مشاكله بطريقته التى تلهب المشاعر وتؤجج الأحاسيس .

لقد استطاعت بولندة ممثلة فى كتابها المسرحيين أن تنتصر فى حربها الاستقلالية سنة (١٩٢٠ — ٢١) ... وهذا درس يجب أن نعيه نحن العرب إذا أردنا أن ندس أنف الاستعمار فى التراب .

* * *

ونهضة المسرح فى بلاد المجر ترجع هى الأخرى إلى عهد النهضة ، أو بالضبط إلى سنة ١٥٥٠ ، وقد وجدت ثمة مسرحيات دينية من جميع أنواع هذه المسرحيات ، ولاسيما مسرحيات الأسرار Mystery ومسرحيات الخوارق Miracles و المسرحيات الأخلاقية Moralities وهى تلك المسرحيات التى كانت تظهر حيثما كان للكنيسة الرومانية شىء من حول وطول وسلطان . على أن نهضة المسرح غير الدينى بدأت هناك سنة ١٦٩٦ حينما أنشأ الكاتب المسرحى المجرى المشهور جورج فلفنزى G. Felvinczy « جمعيـة

الممثلين المحترفين ، التى كانت تخرج مسرحياتها بكلتا اللغتين اللاتينية والمجرية .

وفى أوائل القرن التاسع عشر يظهر الكاتب المجرى الوطنى الكبير قاطونا Katona (١٧٩٢ — ١٨٣٠) الذى درس شيكسبير وتتلمذ عليه ، وشرع يقلده فى طائفة من المسرحيات كان من أشهرها مأساته الوطنية الرائعة : Bank Ban التى تحض على الفداء والتضحية فى سبيل الوطن والتى ذاع أمرها بعد وفاة مؤلفها . وفى سنة ١٨٣٧ تألفت فى العاصمة بودابست جماعة (المسرح القومى) وهى الجماعة التى وجهت المسرح المجرى توجيهاً وطنياً رائعاً كان له فى نهضة المجر ماكان للكتاب المسرحيين والفنانين الذين كانت تتألف منهم جماعة « بولنـدة الفتاة » من أثر فى نهضة بولندة وفوزها باستقلالها ومحافظتها على قوميتها .

ومن أشهر كتاب هذه الجماعة وفنانيها المسرحيين الكاتب والمخرج المسرحى الكبير سزجليجيتى Szigligeti وهذا هو الاسم المستعار الذى كان يكتب به صاحبه يوسف سزاتمارى Szatmary كاتب الملاهى الشعبية المجرية الفكهة والمآسى الوطنية الرائعة ، والرجـل الخبير بالإخراج المسرحى الذى يوائم أمزجة الفلاحين المجريين ، ويخلق منهم جيشاً من الفدائيين المخلصين .

وإذا تركنا كتّاب المسرحيات الوطنية إلى حين لم نجد

بدأ من الإشارة هنا إلى الكاتب العبقرى إمرى مداش Imre Madach (١٨٢٩ – ١٨٦٤) مؤلف مسرحية « مأساة الإنسان » تلك المسرحية التى كان لها من الأثر فى رفعة المسرح المجرى ما كان لمأساة جيته « فاوست » من الأثر فى رفعة المسرح الألمانى .. وموضوعها هو نفس موضوع فاوست الذى يحاول فيه الشيطان إغراء الإنسان باتخاذ موقف سلبى مدمر فى هذا الوجود .

على أن أعظم الكتاب المجريين شهرة فى العالم كله هو بلا شك الكاتب فيرنك مولنار Ferenc Molnar (١٨٧٨ – ٠) ذلك الكاتب الفذ الذى كرس نفسه لتصوير الحياة من خلال منظاره الوردى الجميل وإضفاء المشاعر الرقيقة على كل ما تزخر به من قيم . ومولنار هو بلا شك من أساتذة كارل تشابك وممن تركوا فيه أثرهم الفنى العميق ووجهوه وجهتهم الخيالية التحليلية الخلابة ، وبالأحرى نحو المسرحية الخيالية Fantastic drama أو الـ Fantasy أو الـ Phantasy والمسرحية السيكلوجية التحليلية أو الـ Analytical-psychological drama ومن هنا عظمة كل من مولنار وتشابك . . . ولاسيما أنهما لم يكونا يتخذان المسرحية الخيالية مجرد إمتاع الناس ، وإدخال المسرة على نفوس المتفرجين ، بل لكى يثيرا بها الأحلام العظيمة الكريمة فى النفوس

وحفز الهمم إلى جلائل الأعمال ، ومن هنا كان يختلط فى مسرحهما جلال الفن وجلال الهدف ... أضف إلى هاتين الطريقتين أشهى ثمرات المذهب الواقعى .. وبالأحرى ... الطريقة التعبيرية Expressionism العظيمة التى ينفذ الكاتب بوساطتها من الواقع السطحى إلى أعماق الروح الإنسانية ، بعد أن يقذف بهذه الروح فى أزمة من أزمات الحب أو الجريمة أو مصلحة من مصالح الوطن العليا ، أو قضية من قضـــايا الإنسانية المعذبة ، ثم لا يزال يرفع من حرارة تلك الأزمة حتى ترى الروح آخر الأمر عارية أمامنا فوق المسرح نكاد نلمسها ونتملأ بها ... كما نلمس هذا فى مأســـاة « الأم » .

ومن أهم مسرحيات مولنار التحليلية مسرحيته Jozsi التى عالج فيها مشكلة أبناء الأغنياء الذين أسيئت تربيتهم معالجة نفسية تحليلية .

على أن أروع مسرحياته الخيالية ذات الشهرة العالمية هى مسرحيته الخالدة « ليليوم Lilliom » التى ظهرت سنة ١٩٠٩ وتدور عن الحب فى الحياة الدنيا ، وفى الحياة الآخرة بعد الموت .. ذلك الحب الذى كان يربط قلب الزوج العاشق ليليوم بقلب الزوجة العاشقة جوليا ... ثم وفاة الزوج بعد أن ينجب من زوجته ابنتهما لويز .. ثم عودة روح الزوج من الدار الآخرة بعد خمس عشرة سنة متجسدة فى شكل أحد

الشحاذين ليذكرها بزوجها المتوفى ، وليحدثها عن العالم الثانى ، وما لقى فيه أمام محكمة السماء — من عدالة بسبب جريمتيه اللتين ارتكبهما عندما كشف صبوة زوجته إلى عشيقها الجديد النجار . إننا سنرى فى مأساة « الأم » ظلا ممدوداً من « ليليوم » ولو استعرضنا هنا جميع مسرحيات مولنار لأدركنا أنه كان من أكبر أساتذة تشابك حقا . . . ولا سيما فى الكثير من مسرحياته الخيالية هذه التى ظل يكتب الشىء الكثير منها حتى كتب أخراها « الحورية الطيبة » سنه ١٩٣٢ والتى من أروعها مسرحياته «الشيطان» و «الذئب» و«البجعة» و «السحابة البيضاء» و«الخوف البلورى» و«الأولب» .

وقد حمل عبء النهضة المسرحية فى المجر إلى جانب مولنار كتاب آخرون كان الكثير منهم صدى للمذاهب المسرحية الجديدة ، ولا سيما للمذهبين الواقعى والطبيعى فى كل من النرويج والسويد وألمانيا وروسيا وفرنسا . . ولا نرى داعياً للتحدث عنهم هنا لانعدام الصلة بين فنهم ومذاهبهم ، وفن تشابك ومذهبه ، بالرغم من عمق أثرهم فى نهضة المسرح المجرى .

• • •

والنهضة المسرحية فى النمسا وإن تكن لمحة من النهضة المسرحية فى ألمانيا إلا أن ثلاثة من الكتاب المسرحيين النمسويين استطاعوا خلق فن مسرحى نمسوى مستقل له شخصيته المستقلة ومعالمه المحددة ... وأول هؤلاء الكتاب

ولعله أعمقهم أثراً فى تلك النهضة الكاتب « هرمان بير Hermann Bahr » (١٨٦٣ — ١٩٣٤) الذى طرد من فينا وهو فى الثامنة عشرة . . وفى أول حياته الفنية — لشدة ما كان يتحمس لفنان الأوپرا الأشهر رتشارد ڤاجنر الذى كان قد توفى فى ذلك الوقت بائساً مغموط الحق مجهول المكانة ، لم يعرف له مواطنوه حقه وإن أصبح اليوم حلم الحالمين فى عالم الأوپرا ودنيا الموسيقى المسرحية الخالدة .

وولى بير وجهه شطر برلين حيث ربط أسبابه بأسباب أشهر أدبائها وكبار فنانيها فأفاد منهم الكثير .. وبعد أن أقام ثمة من سنة ١٨٨٤ إلى سنة ١٨٨٧ ذهب إلى فرنسا ثم أسپانيا ومراكش ثم إلى روسيا . . وهكذا رأى الكثير وواكب ألواناً من النهضات المسرحية فى بلاد كثيرة . وفى سنة ١٨٩٢ عاد إلى فينا حيث أصبح رئيساً لتحرير مجلتها الأدبية الفنية المشهورة Die Zeit . وقد كان بير يحلم بإنشاء مدرسة نمسوية للفنون والآداب والمسرحية والفنون التشكيلية . وقد شمر لتحقيق هذه الأمنية عن ساعد الجد ، وكان له من كفاياته المتعددة خير معوان على تحقيقها .. فلقد كان ناقداً ومحرراً وكاتباً مسرحيًّا وقصاصاً ومديراً ومخرجاً مسرحيًّا .. كما كان روح جماعة « فينا الفتاة » وقلبها النابض . وكان يشجع شباب الأدباء وصغار الفنانين ويبهمهم ويدفع بهم دفعاً نحو آفاق المجد ، ويتحمس لأعمالهم ويساعدهم كلما دعت

الحاجة إلى مساعدتهم ... وقد ظل بير أعظم شخصية أدبية فنية فى النمسا مدى أربعين عاماً لم يكف خلالها عن النقد وكتابة القصص وتأليف المسرحيات ، وإليه يرجع الفضل فى خلق « المسرحية الڤينية » نسبة إلى ڤينا أو الـ : Wiener Stück التى لم يفقه فيها إلا الكاتب النمسوى شنتزلر .

لقد كتب بير ثمانين مسرحية وأخرج للمسرح الحر (الفراى بوهن) فى برلين كثيراً من مسرحياته الواقعية والطبيعية ، وقد تأثر هناك بحركة المذهب التعبيرى الذى أشرنا إليه آنفاً ... وقد كان له أثره العميق بلا شك فى تشاباك وذلك من نواح كثيرة متعددة ، أهمها فنه المسرحى ومسرحياته ومقالاته فى النقد المسرحى .

أما الكاتب الثانى الذى يلى بير فى أهميته وعمق أثره فى المسرح النمسوى فهو الكاتب آرثر شنتزلر A. Schnitzler (١٨٦٢ — ١٩٣١) وهو وإن لم يكن له أثر يذكر فى كارل تشاباك ، فقد كان له أثر فى المسرح الحرى قطعاً ... وأهم ما يذكر عن شنتزلر تسامیه بالمذهب الطبيعى ، ثم مسرحياته النفسية التحليلية التى لا يعيبها بكل أسف إلا أنها تنبع من المسائل الجنسية وتدور حولها ، وإن يكن هذا هو الذى جعل لها مسحتها التعبيرية التى أكسبتها أهميتها . والعجيب أن مزايا شنتزلر المسرحية كانت تتجلى أيضاً فى قصصه .. وهو من هنا يشبه الكاتب الإنجليزى چون جوار ورذى .

وفلسفة شنتزلر تدور كلها حول كلمته الخالدة :
« إننا كلنا نقوم بتمثيل أدوار فى الحياة .. والسعيد هو الذى يعرف دوره قبل أن يقوم بتمثيله »

.. ونغض الطرف عن كتّاب المذهب الطبيعى النمسويين وعلى رأسهم الكاتب كارل شوهر K. Schoenherr لضآلة أثرهم فى تشابك ولإغراقهم فى حمأة هذا المذهب إغراقاً لم يكن يخطر له ببال .

والكاتب النمسوى الكبير الثالث هو ، هوجو — فون — هوفانستال Hugo von Hofmannsthal (١٨٧٤—١٩٢٩) الذى غلبت شهرته فى ميدان الشعر الفخم القوى الديباجة على شهرته بوصفه كاتباً مسرحيًّا . وقد بدأ حياته المسرحية بنظم قصيدة مسرحية ، وهو فى السابعة عشرة من عمره . وقد كان أحد أعضاء جماعة « فينا الفتـــاة » ولم ينفك ينشر قصائده العاطفية وتمثيلياته الخيالية ورسائله ومخطوطات قصص للأوبرا . وقد كان هوفانستال مشغوفاً بالأنواع المسرحية الجديدة وصور التعبير المسرحى الطريف ، وإن لاحظنا أنه كان يلجأ إلى الموضوعات الإغريقية القديمة يلتمس فيها الوسيلة للتنفيس عن آرائه ووجهات نظره فيما تضطرب به نفســـه والنفس الإنسانية بعامة من مختلف الخواطر وهموم الفكر ، متخذاً من براعته الأدبية وموهبته فى حسن الأداء ذريعة لتقديم ألوان من الفن غير الذى كان يقدمه

لنا كتّاب المسرح الإغريقى القديم . لقد كانت مواهب هوفانستال تتجلى فى أعظم سماتها عند ما يكتب تمثيلياته بالشعر .. وقد جرب النثر مرة ففشل وفشلت مسرحيته . ومن ثمة تلك الرابطة القوية التى تربط فى أدبه بين الشعر القوى الطلى ، وبين التخيل البـــديع الرائع الذى يسحرنا ويأخذنا معه إلى عالم الأعماق .. أعماق النفس وأغوار الروح ، مما يتميز به المذهب التعبيرى . ولقد كانت الأساطير اليونانية ، بحراً لا ينضب معينه لخيال هوفانستال الذى كتب للموسيقار شتروس أعظم أوبراته .

* * *

وبعد .. فهذه هى أهم الخمائر التى اختلطت بعبقرية كارل تشابك فصنعت منها الأعاجيب . . وإن لم ننكر تأثره بالمدارس الألمانية المشهورة التى كان المذهب التعبيرى فى مقدمتها ، وعلى رأس كتابه منشئ هـــذا المذهب الكاتب الأشهر فرانك ودكند F. Wedekind (١٨٦٤ — ١٩١٨) . . الكاتب المتعدد المواهب الذى كان يجمع بين الصحافة وأعمال السيرك وإخراج الفودفيلات وكتابتها وكتابة القطع المضحكة لمجلة Simplicissimus الفكاهية والتمثيل فى أشهر الفرق الألمانية وسعة الاطلاع على فلسفة نيتشه وماكس شتّرنر M. Stirner وهيامه بمسرحيات إبسن وستّرندبرج وهاوپتمان ؛ لقد كان ودكند حريا بأن يكون

نبي المذهب التعبيرى لولا إغراقه فى المعضلات الجنسية التى قد تجرح الحياء وتصدم المشاعر ... مما يجعلنا نكتفى بتلك الإشارات إيثاراً للسلامة .

بهذا كله تثقف تشايك وعاش فيه ثم جرى فى غباره مرة ، وأصبح فى ميدانه الفارس المجلى مرات .

لقد بدأت نهضة المسرح التشيكى نهضة دينية كما قدمنا أى بالمسرحيات الدينية التى كانت أول ماعرفت أوروبا من التمثيل فى عهد النهضة ، وإن تخللت تلك المسرحيات فصول مسرحية غير دينية ... وبالأحرى فصول ... أو فواصل .. من صميم الحياة الدنيا ولا شأن لها بالدين .. كانت تتميز بصبغة هجائية ساخرة ، فيها لمز وفيها تعريض أغضب المصلح الدينى جون هس John Huss فثار عليها مما جعل المسرح عرضة لسخط البروتستنت وعرض كل من يفكر فى أى نشاط مسرحى للنفى من البلاد . وكان تداول الحكم الألمانى والنمسوى على البلاد مما يعطل قيام أى نشاط مسرحى فى ميدان المسرحية القومية ، ومن ثمة لم يكن التشيكيون يرون إلا ما تعرضه عليهم فرق الأوپرا الإيطالية والفرق الألمانية من الألوان المسرحية الأجنبية على أن هذا الضغط الوبيل على الشعب التشيكى أخذ يخف قليلا قليلا ، حتى إذا كان عام ١٨٨١ أنشئ المسرح القومى من حصيلة التبرعات التى جاد بها الشعب التشيكى ولم تسهم

فيها الحكومة النمسوية بأى نصيب ... وقد التهمت النيران ذلك المسرح فعادت التبرعات تفعل فعلها من جديد ، وأعيد بناء المسرح القومى سنة ١٨٨٣ فى أجمل أحياء براغ ، ثم توالى بناء المسارح الأهلية والحكومية بعد ذلك نتيجة لمجهودات وطنية صرفة .

على أن التأليف المسرحى التشيكى كان يجرى خلسة ومن وراء أقفية المستعمرين ... وقد كان الكاتب ف . ك كليكبرا (١٧٩٢ — ١٨٥٩) يكتب ملاهيه الريفية كما يكتب مسرحيات بطولة ألمانية وقطعاً تاريخية ... كما كان له تلاميذ يقلدونه ويكتبون مسرحيات خيالية وخرافية أيضاً ولم تثبت المسرحية التشيكية وجودها الحقيقى حتى ظهر الأخوان كارل تشابك (١٨٩٠ — ١٩٣٩) وشقيقه يوسف تشابك (١٨٨٧ — ١٩٤٥) فملأ أولهما المسرح التشيكى بروائعه التى نال الكثير منها شهرة عالمية وعرضت فى أعظم مسارح أوروبا وأمريكا حيث نالت من النجاح أضعاف ما نالته فى تشيكوسلوفاكيا نفسها .

وجميع النقاد مجمعون على أن مسرحية كارل تشابك التى سماها R.U.R. هى أعظم مسرحياته جميعاً ، بل هم يعدونها تحفة عالمية لا يرقى إلى مرتبتها عدد كبير من مسرحيات العالم ، ولا سيما المسرحيات التعبيرية .

و R.U.R. هو اختصار لـ Rossum Universal Robots

و Robot هو الإنسان الآلى . . والاسم يشير إلى تلك الهيئة الصناعية أو الشركة التى تنتج بالجملة هذا الإنسان الآلى ليقوم عن العمال والخدم من البشر بأعباء الأعمال المرهقة التى تشق عليهم وتنهك قواهم ... إلا أن شيئا من المشاعر الخفية لا يلبث أن ينمو فى أغوار هذه الكائنات الجبارة يجعلها تثور على مستخدميهم من البشر ... وتكون نتيجة الثورة غلبة هذه الكائنات الآلية وتحكمها فى أعناق الناس جميعاً ... وهنا تنعكس الآية إذ يصبح الناس هم الخدم الآليين لهذه الكائنات . . غير أن شيئاً من مشاعر الحب يتحرك فى جوانح اثنين من هذه الكائنات فى آخر المسرحية فيضع حداً للثورة ويكون سبباً فى أن تسود المحبة والولاء بين الجميع . . . وهكذا تولد الحياة من جديد فى صميم هذا الإنسان الآلى .

والمسرحية ... شأن مسرحيات تشابك التعبيرية كلها ... تتحرر قليلا من بعض خصائص المذهب التعبيرى وإن خضعت لأهم مبادئ هـذا المذهب . . . ففى المذهب التعبيرى يستحسن وجود بطل واحـد للمسرحية يوقعه المؤلف فى أزمة نفسية كما ذكرنا آنفاً ، ثم يسلط عليـه جميع الأضواء بعد ذلك وتكون جميع الشخصيات التى تشترك معه فى الموضوع شخصيات ثانوية ، أو شخصيات خيالية تنبع من وهم الشخصية الرئيسية ، وتصوراتها التى تثيرها فى نفسها المخاوف . . . ثم يمضى المؤلف فى زيادة

حدة الأزمة النفسية فى نفس البطل حتى تتعرى روحه آخر الأمر ، وينكشف المستور من أسرار تلك النفس فى معظم المشاهد الأخيرة من المسرحية . ولكن تشابك فى مسرحيته التعبيرية تلك ، وفى معظم مسرحياته التعبيرية ، ومنها مسرحية الأم ، يضحى بذلك العنصر من عناصر المذهب ويجعل للمسرحية أكثر من بطل ثم يوقعهم جميعاً فى أزمات نفسية لايزال يرفع من حرارتها حتى تنتهى المسرحية . . . وفى رأيى أن هذه حسنة لتشابك وليست سيئة قط . . . والعبرة بطريقة المعالجة ، وليست العبرة بالجمود فى قيود المذهب ... وحسب تشابك أنه يمتاز عن معظم جبابرة المسرح الألمانى نفسه ، وعلى رأسهم قيصر وفرفل وود كند وتولر Toller وبرخت وغيرهم بطلاوة التخيل ، ووضوح الهدف ويسر التغلغل إلى أغوار النفس الإنسانية .

لقد ظهرت R.U.R. سنة ١٩٢١ ليسخر فيها من تلك الحياة الآلية التى أخذ الناس يحيونها فى شرق أوربا ... فلما شبت الحرب العالمية الثانية واجتاحت جحافل هتلر أرض بولندة هذا الاجتياح الهمجى ، ارتفعت شهرة R.U.R. وشهرة صاحبها الذى أسلم الروح قبل أن يرى البرابرة الغزاة يدوسون ثرى الوطن بآلاتهم التى لا عقول لها .

وفى سنة ١٩٢١ أيضاً كتب بالاشتراك مع أخيه يوسف تشابك ملهاتهما الخيالية اللطيفة : « العالم الذى نعيش فيه »

أو « ملهاة الحشرات » أو « حياة الحشرات » التى يصوران فيها بنى الإنسان فى صورة الحشرات لإظهـــار الوسائل المحزنة المؤلمة التى يستعين الناس بها هناك على معاشهم . وهذه الملهاة الخفيفة تختلط فيها عدة مذاهب مسرحية اختلاطاً جميلا . . إنها ملهاة خيالية Fantasy يتجلى فيها المذهب التعبيرى والمذهب الرمزى على أساس متـــين من المذهب الواقعى . وقد نجحت الملهاة فى براغ نجاحاً هائلا ، كما نجحت أيضاً فى مسارح أمريكا وغرب أوروبا أضعاف ذلك .

وفى سنة ١٩٢٢ ظهرت مسرحية كارل تشابك : « سرماكروبولس » The Makropulos Secret .. التى يناقش فيها فكرة طول العمر ، وهل من الخير للإنسان أن يعيش ثلثمائة سنة مثلا ؟ وينتهى فيها إلى أن طول العمر وبال على صاحبه ، وخير للمرء ما دام قد انتهى من رسالته فى الحياة أن يودع الحياة . . وهو فى ذلك يقترب من أبى العلاء الذى يقول :

« تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد »

لولا أن تشابك ليس متشائماً مثـــل أبى العلاء . وتشابك فى هذه المسرحية يناقض جورج برنردشو فى مسرحيته التى ظهرت فى سنة ١٩٢١ وهى : « العودة إلى ماتوشالح » Back to Methuselah . . والتى يجد فيها شو طول العمر لأن الإنسان لا يموت عادة إلا وهو أرجى ما يكون خبرة

وتمرساً بالحياة وكفاية عقلية إذا كان من المحافظين على صحتهم فى غير تقتير أو إسراف .

ثم تتوالى مسرحيات تشابك الخيالية التى يختلط فيها المذهبان الرمزى والتعبيرى اختلاطاً جميلا بارعاً .

ومن أهم هذه المسرحيات : « الطاعون الأبيض » و « القوة والمجد » ثم هذه المسرحية : « الأم » التى ظهرت سنة ١٩٣٩ — أى بعد وفاة المؤلف فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ... والتى ناقش فيها بطريقته الخيالية التعبيرية الرائعة فكرة الحرب والسلم ، ومتى تغلب إحداهما على الأخرى .

خلاصة المسرحية :

ها نحن أولاء فى هذا المنزل العظيم الحزين منزل البطولة والأبطال .. وها نحن نرى ثلاثة من أبناء رجل توفى منذ سبع عشرة سنة فى معركة حربية بسبب خطأ قائده قصير النظر الذى أصدر إلى الرجل — أو الوالد ريتشارد — أمرا بالاستيلاء على أحد المعاقل دون أن يكون له ما يحميه من نيران العدو .. فإذا أبدى الرجل هذه الملاحظة نحزه قائده بأنه — ولا بد — يشعر بشىء من القشعريرة تسرى فى رجليه — فلا يملك الرجل إلا أن ينفذ أمر القائد الجاهل .. وهكذا يقضى على ريتشارد ، وعلى جميع من معه من الجنود ..

ها نحن إذن نرى ثلاثة من أبناء هذا الأب الضابط

البطل .. وقد جلس منهم اثنان : بيتر وكرستوفر ، يلعبان الشطرنج ... تلك اللعبة الأبدية الخالدة التى لا هم لمن يلعبانها إلا أن يقضى أحدهما على الآخر . سواء كان الذى يقوم باللعب فرداً .. أو فردين .. أو أمة أو أمتين .. أو مجموعتين من الأمم .. فالنتيجة واحدة .. القضاء على أحد الجانبين .. وإن لم يخرج الجانب الآخر سليما من المعمعة .

أما الأخ الآخر : تونى ... وهو أصغر أبناء هذه الأسرة ، فنراه مستغرقاً فى قراءة كتاب ما ... لكنه يفيق من قراءته على شجار ينشب بين أخويه اللذين اختلفا على حل لعبة من اللعب كان أحدهما يذكر الطريقة التى يلعبها بها أبوه .. بينما بدا للأخ الثانى أن من الممكن . . بل الأصح .. أن تلعب بطريقة أخرى .. ومن هنا ينشب النزاع الذى يتطور فينقلب إلى معركة يختلط فيها نظام الحجرة وينقلب أثاثها رأساً على عقب .

وتدخل الأم دولوريس . . لتنهر الشابين ... ولتعيد الحجرة إلى نظامها .. ويخرج بيتر وكرستوفر ومعهما بندقية ليدخلا بها فى مباراة لإصابة الهدف . . كما يخرج تونى الصغير حتى تنتهى الأم من مهمتها . . ولا تكاد الأم تخلو إلى نفسها فى الحجرة ، وقد فرغت من إعادة النظام إليها حتى تغلق النوافذ ، وحتى يسود الغرفة شىء من الظلام بسبب ذلك .. وهنا .. نرى طيفا شفافاً يبرز أمامنا من أحد

أركان الغرفة .. فإذا هو روح الزوج المتوفى منذ سبع عشرة سنة .. يقف خلف زوجته — هذه الأم — وهى تنظر إلى صورة زوجها المعلقة فوق الحائط نظرة العاتبة اللائمة ، وهى تتحدث إليها وتقول : إنها لا تحب أن يجتذب الأب أبناءه إليه حتى لا يشبوا على ماشب هو عليه ... من هذا الإقدام الأعمى ، فإذا الأب .. أى الروح يتقدم متمهلا نحو الأم ليقول لها : إنه لا يجتذبهم إليه ، وإنما الذى يجتذبهم هو هذه التذكارات التى تملأ جوانب الغرفة . . . فلماذا لا تخفيها الأم عن أعينهم ؟

وتستدير الأم لتكلم روح زوجها غير مشدوهة ولا مأخوذة ... كالتى تعودت أن تلقى تلك الروح ومرنت على زيارتها لها .. وتدور بينهما مناقشة يتحدث فيها الأب عن الدور الذى قام به فى قتال ثورة الأهالى ... وأنه لم يمت ميتة الأبطال قط .. بل مات بسبب جهل قائده ونزقه ، ثم بسبب هذا الجرح الذى أخذ بسببه أسيراً ، فأذاقه آسروه الهوان وتركوا جرحه ينزف حتى مات . . وهذا خلاف ما ادعته النشرة الرسمية التى وصفته بالبطولة ، وهو يؤدى واجبه فى المعركة !

وتتطور المناقشة فتذكر الأم ما عانته فى سبيل تربية أولادها الخمسة ، وحرصها على ألا يشبوا جنوداً كما كان أبوهم ، بالرغم من أن كونهم أبناء ضابط قتل فى الحرب

كان يخولهم الحق فى التربية بالأكاديمية الحربية فيوفروا عليها المصروفات فى الكليات الأخرى ... ولكن هـذا لم يجردهم من روح الاعتزاز ببطولة أبيهم وحرصهم على أن يشبوا على ماشب هو عليه .. فهذا ابنها الأكبر أندرو الذى درس الطب وتخرج فى أعظم كلياته يتطوع لمحاربة الحمى الصفراء فى بلاد نائية .. حيث يهلك هناك .. ويهلك لأنه تطوع لأن تنتقل إليه عدوى هذا المرض الخبيث لكى يسجل أعراضه فيه إذ هو طبيب يستطيع أن يعرف من التجربة مالا يعرفه غيره ... فتكون النتيجة أن يقضى عليه .

وهنا .. نرى طيف أندرو .. أندرو الطبيب .. يبرز من أحد أركان الغرفة المعتمة ، حينما تقول الأم إنه ذهب إلى تلك البلاد الموبوءة دون أن يصيخ إلى رجاء أمه فى ألا يفعل ... ذهب إليها متلصصا كما يفعل اللصوص فى حلك الليل . إنه يبرز فى حلة طبيب ليقول لأمه : إنه قد شرح لها الأسباب التى كانت تلزمه بهذا السفر للقيـام بواجبه المقدس نحو إخوته البشر المنكوبين . . فإذا كان لم يصخ لرجاء أمه مضحياً بشىء من محبتها ؛ فإنه فعل ذلك فى سبيل واجب أسمى .. وينضم الأب إلى ابنه أندرو مؤيداً موافقاً على كل ما حدث ، ولا سيما بعد أن يعرف سبب وفاة ابنه ، وأنها كانت وفاة مقصودة أقدم عليها أندرو بشجاعـة وإقدام ، وهو يعرف أنه لن يفلت

منها ، وحتى لو لم تنته التجربة إلى شيء .

وعند ذلك تسمع طلقات نارية فى الحديقة ، وتقول الأم إن پيتر وكرستوفر فى مباراة لإصابة الهدف .. فيهش الأب ، ويطرب أندرو . . وتثور الأم . . لأنها لن تسمح لأولادها الباقين بهـذه الروح العسكرية التى لقيت منها الأمرين ... وتقول إن پيتر وكرستوفر — وهما توأمان ولدا معاً — لا ينفكان عن النزاع والمشاجرة ولا يكاد أحدهما يرى رأياً حتى يخالفه أخوه ، ويشتد فى الإنكار عليه ...

ثم تحدث مفاجأة عجيبة ... إن روحاً ثالثة تبرز من أحد أركان الغرفة .. وإذا هى روح الابن الثانى جورج .. الذى التحق بسلاح الطيران ووقع عليه الاختيار بتجربة فى الطيران المرتفع لضرب الرقم القياسى فى هذه الناحية .

ويرحب الأب ويرحب أندرو بروح جـورج . . وتستدير الأم لترحب بابنها جورج الذى لم تكن تعلم أنه سقط بطائرته ولم يعد حياً بعد . . فإذا عرفت الحقيقـة زلزلت زلزالا شديداً ، وملأ قلبها الهم .. وأنشأت تجادل جورج فيما دفعه إلى تلك التضحية . . . لكن حزنها يتغلب عليها ويملك زمامها فتسقط فى أحد الكراسى لتنشج نشيجاً طويلا مكتوماً . . . على أن الحديث يتصل ، ويثنى الأب وأندرو على شجاعة جورج ..

وتفيق الأم .. ويواسيها الأب وأندرو وجورج ، ويطلبون

إليها أن تتمالك وأن تكون أماً عظيمة يفخر بها أبناؤها ...

ويسمع طرق بالباب فتتلاشى الأطياف الثلاثة ..

ثم يدخل كرستوفر فيوقد النور ويقول لأمه إنه سمع أنباء مزعجة .. لقد أصيب جورج فى حادث طيران ... ولكن

« لا تزعجى يا أماه . . أغلب الظن أنك سمعت النبأ ! »

* * *

فإذا كان الفصل الثانى رأينا الأخوين كرستوفر والصغير تونى يتجادلان فى موقف أخيهما بيتر الذى انضم إلى الحزب الأحمر ؛ بينما انضم كرستوفر إلى الحزب الأبيض فى تلك الفتنة التى فرقت كلمة الأمة وقسمتها إلى ذينك الحزبين المتحاربين . فإذا دافع تونى عن موقف أخيه بيتر ثار عليه كرستوفر وعيره بأن أمه قد نشأته نشأة مدللة كلها عطف وكلها ميوعة ثم أخذ يدلى برأيه فى الحمر قائلا :

كرستوفر : لقد كانت آراؤه فى مصلحة الوطن آراء خاطئة من أساسها .. لقد وهم أن من الممكن أن تحكمنا حفنة من السوقة الأنذال . ماذا يكون مصيرنا لو تم لهم ما أرادوا ؟ لقد كشفوا عن معدنهم ونواياهم ومبلغ كفايتهم بما أقدموا عليه من نهب وسلب وانتقام بدافع من حزازاتهم القديمة . لو تم لهم ما أرادوا لانهار بناء

الوطن ، وضاع كل شيء .

توني : ولكن بيتر كان حازماً كل الحزم ووضع حداً للسلب والنهب .

كرستوفر : هذه هي الغباوة المطلقة . لقد كان يرجو أن يؤلف حكومة من هؤلاء الرعاع تتولى أمور البلد . ونحن لن نسمح بهذا أبداً .

توني : ومن تعني بقولك : نحن ؟

كرستوفر : فريقنا .. إننا الأمة .. إن هذه الطغمة لو حكمت البلاد بعقليتها المريضة وآرائها الفاسدة عن السلام وعن التصالح السلمي والمساواة لانهار بناء الوطن .. ولضاع كل شيء . . .

إذن فهي الحزبية العمياء التي فرقت كلمة الأمة وجعلتها شيعاً متحاربة ، وانتشرت في العائلات فأصبح هذا الأخ أحمر بينما هذا الأخ أبيض .. وكل منهما عدو لأخيه ... ويذهل توني الصغير ، حينما يخبره كرستوفر أن أخاهما بيتر مقبوض عليه الآن وهو رهينة من الرهائن . . . فإذا عاد الحمر إلى إطلاق النار فقد يقتل بيتر .. والحرب هي الحرب !

ويثور توني الصغير ، ويغضب لموقف أخيه كرستوفر الذي يوشك أن يخرج ليأخذ مكانه بين محاربي حزبه . . ولكن الأم تدخل فتسأله عن بيتر الذي سبق أن أخبرها أنهم

مطلقو سراحه فى المساء .. فأين هو ؟ إنها تكاد تهم بالخروج لتبحث عن پيتر وسط الرصاص والقنابل وغبار المعركة .. لكن كرستوفر ينصحها بعدم الخروج وإلا أطلقوا عليها النار .. وهنا تطلب من توفى أن يتركها وحدها فينسرق توفى ... وعند ذلك يحاول كرستوفر أن يقنع الأم بغلطة پيتر فى ثقته بالناس وهو مغمض العينين .. وأن هذه الثقة الحمقاء هى التى جرت عليه ما جرت من تلك البلايا .

وينهض كرستوفر ليتناول بندقية ويشرع فى تنظيفها ... ثم ينطلق من الحجرة دون أن يصيخ إلى توسلات أمه .

وعند ذلك يظهر طيف پيتر ! أجل ! طيف پيتر ! فلقد أصبح پيتر طيفاً هو أيضاً .. روحاً ..

وتفرح به أمه أيما فرح ، لأنها كانت تحسبه قد عاد سليما معافى بعد أن أطلق البيض سراحه ... وتحاول الأم أن تضىء المصباح فيرجوها پيتر ألا تفعل ... ولا يزال بها حتى يصارحها بأنهم رموه بالرصاص .. منـذ أمد بعيد جداً .. منذ نصف ساعة !!

وتقع الأم مغشيا عليها من هول الصدمة فيستغيث پيتر .. وهنا يبدو طيف أندرو ... الدكتور أندرو ! ... كما يظهر طيف الأب ريتشارد ... ويظهر بعده طيف جورج !

پيتر وأندرو وجورج والأب ... لقد أصبحوا جميعاً

أشباحاً ... وهاهم واقفون فى الحجرة الكئيبة أمامنا يعنون بالأم ويتحاورون فيما حدث كله ... ويسعف الدكتور أندرو أمه .. ثم يتركها راقدة ويبدأون حديثاً طويلاً فيصف كل منهم الطريقة التى مات بها .. ونسمع منهم العجائب التى يختمها الأب بقوله : أعلم أنكم جميعاً قد ضحيتم بحياتكم فى سبيل أمر عظيم .. أندرو فى سبيل العلم ، وجورج فى سبيل تقدم الطيران ... أما أنت يا بيتر .. ففى سبيل أى شىء ضحيت بحياتك ؟

ويجيبه بيتر : فى سبيل الحرية والمساواة يا أبى !

ويقول الوالد : آه ! أما أنا ... فقد مت فى سبيل الوطن وشرف الكتيبة ... أو ... لأن القائد أصدر تعليمات خاطئة ! .. ولكن لا علينا من ذلك كله ... إنها جميعاً أعمال عظيمة تستحق أن نضحى بالحياة فى سبيلها .

وبينما هم فى حديثهم ذاك إذا صوت المذيع فى الراديو وهو صوت كرستوفر نفسه ... يقول بأن القائد العام يأمر الحمر للمرة الأخيرة بإلقاء السلاح ، ووقف هذه المذابح المنكرة فى ظرف خمس دقائق .. فإذا لم يصدعوا بهذا الأمر فسآمر بضرب المدينة وتدميرها على رءوسهم .

وهنا يثور بيتر — أى روح بيتر التى كانت تتلهى بالشطرنج فى تلك اللحظة تحاول حل مشكلة من المشكلات .. ويرمى البيض بأنهم أوغاد متوحشون سفاحون ... ثم يهتف

بالحمر ألا يستمعوا إليه ... إلى كرستوفر أخيه ! ... وأن يصبروا ويصابروا حتى يتم النصر لقضية الحرية والمساواة ويزول الطغيان !

وتنقضي الدقائق الخمس فيأتي صوت المذيع ينصح الأهالي بالنزول إلى بدرومات المنازل لأن الضرب سيبتدئ

وعند ذلك تستيقظ الأم فتهتف بأبنائها .. أبنائها الأشباح هؤلاء .. ثم تسأل توني الذي يدخل في تلك اللحظة فتتلاشى الأرواح ... حتى إذا أضاء المصباح وسألته أمه عن بيتر أجابها بأنه لم يعد بعد (!) ثم يتناول مسدساً فتسأله عن السبب ، فيداور في إجابته .. فإذا سألته عن كرستوفر أخبرها أنه أخذ بندقيته وخرج لأن الواجب كان يحتم عليه ذلك . « فلا تغضبي يا أمي ! »

* * *

وفي الفصل الثالث لا يكون باقيا على قيد الحياة من الأبناء الخمسة غير توني الذي لم يتم السابعة عشرة من عمره بعد .. وها نحن أولاء ، نسمع صوت المذيعة داعية جميع المواطنين إلى حمل السلاح دفاعاً عن الوطن ، قائلة إن العدو انتهز فرصة الحرب الأهلية التي ابتليت بها البلاد وهجم بجيوشه يجتاح أرض الوطن .. وأن هذا النداء يذاع بجميع لغات العالم يستنهض الهمم للدفاع عن قضية الحرية في مشارق الدنيا ومغاربها .

وتثور النخوة فى قلب تونى ويحمل سلاحه ثم يهم بالخروج فتحول أمه بينه وبين ذلك ، إنه أملها الوحيد الذى بقى لها فى هذا الوجود .. وهى لن تسمح له مطلقا بالاشتراك فى تلك المعركة لهذا السبب ، ولأنه صغير لايستطيع أن يتحمل أعباء الحرب .. ثم حسبها أنها قدمت للوطن أربعة من فلذات كبدها .

ولا تزال الأم تلح على ابنها وتجادله وتقنعه حتى يلين آخر الأمر ، ثم تأخذه وتغادر الغرفة لتخبئه عن أعين العالم جميعاً .. فإذا خرجت ، وتكون قد أطفأت الأنوار ... سمعنا صوت أندرو .. الدكتور أندرو .. أو روح الدكتور أندرو .. تقول : مسكينة أنت أيتها الأم ! ويجيبه الأب أعنى روح الأب ! بل المسكين هو تونى !

ونسمع صوت كرستوفر يقول : إنه فى منتهى التعاسة لاشك فى ذلك !

ثم تمضى فترة .فنسمع صوت الطبول ووقع أقدام الجنود ، وهم يسيرون إلى الميدان .

ثم تنجاب بعض الظلمة فنتبين أشباح الأب وأبنائه الذين ماتوا وهم يتابعون أخبار الحرب من صوت المذياع .. حتى إذا سمعوا وقع أقدام فى الخارج طلب الأب من ابنه جورج أن يغلق الراديو ... ثم إذا الأم تدخل الحجرة وتدير مفتاح النور ... وإذا نحن نرى هذه الأرواح كلها وبينها

روح غريبة ... روح لم نرها من قبل ... فإذا هى روح الجد العجوز الذى تنتمى إليه تلك الأسرة كلها !

ويدور حديث حول هذه الحرب ... ويدور نقاش بين روح پيتر وروح كرستوفر اللذين رأيناهما من قبل يتخاصمان فى الدنيا ، بل يقتتلان فيها فإذا هما لايزالان عند موقفهما ذاك ... وكل يجد رأيه .. ويدعى أن حزبه كان أنفع للوطن من الحزب الآخر !

فإذا أنكرت الأم تحمس أبنائها وتحمس جدهم وأبيهم لهذه الحرب المهلكة جادلوها جميعاً ، ودافعوا عن الحرب فى سبيل الوطن دفاعاً حاراً له مايبرره . وزعموا أنهم هم أنفسهم بالرغم من أنهم موتى يجب أن يشتركوا فى تلك الحرب ، وأن ينضم كل منهم إلى فرقته ، ويقوم كل منهم بواجبه . فإذا سأل الأب عن ولده توفى أين هو؟ فزعت الأم وأصرت على أنه صغير ولن يشترك فى الحرب ولكن الأرواح جميعاً تأسف لموقف الأم التى تحاول أن تسىء إلى أمجاد تلك الأسرة ومفاخرها القديمة وماسجلته فى صحيفة الخلود من دفاعها عن الوطن .

« ثم ماذا يكون موقف توفى حيال نفسه إذا أدرك يوماً أنه بخل بدمه على بلاده التى نادته فلم يستمع لندائها ؟ ماذا يكون شعوره ؟ إنه ولا بد سيحيا مجللا بالعار والخزى إذا فعل ! »

وتجيبهم الأم المحزونة بأنهم ليسوا أمهات .. وبأنهم

لم يذوقوا الثكل مثلها .. وإلا كانوا قمينين بأن يرحموها .. ويتركوا لها ولداً ... ولداً واحداً من أبنائها الخمسة الذين طواهم الموت !

ثم يأتى صوت مذيعة من الخارج فى مكبر للصوت تقول إن « العدو أطلق أحد طوربيداته على سفينة التدريب « جورجون » وعلى ظهرها أربعمائة طالب يتمرنون وأن السفينة تغرق الآن بجميع من عليها من هذا الشباب . . . يحيا الوطن ! »

وتفزع الأم ، وينخلع قلبها لقتل هذا العدد الكبير من الشباب الغض ... ثم نسمع طرقاً على الباب فتتلاشى الأرواح . . . ثم إذا القادم توفى . . . ويسألها توفى عمن كان هناك .. ومع من كانت تتحدث ..؟ لكنها تقول إن أحداً لم يكن معها .. وأن الأصوات التى سمعها لم تكن شيئاً غير الإذاعة . . .

ثم لا يلبث أن يأتى صوت الإذاعة من مكبر الصوت بالخارج معلناً أن « طائرات الأعداء قد أغارت اليوم على إحدى مدننا ، وكان عدد الضحايا أكثر من ثمانمائة من الأهالى معظمهم من الأطفـــال والنساء .. وأنهم دمروا مستشفى المدينة فقتل ستون من المرضى .

وهنا يتوسل توفى إلى أمه بأن تأذن له فى أن يحمل سلاحه لينتقم من أعداء وطنه ... وقبل أن تتكلم أمه

يعود المذيع فيقول إن طائرات العدو أغارت على قرية بورجو وألقت قنابلها على مدرسة القرية فلما أسرع أطفالها بالهرب طلباً للنجاة إذا بمدافع الطائرات الرشاشة تحصدهم حصداً ، وإذا بأشلاء الكثيرين منهم تتطاير فى الهواء ...

ولا تكاد الأم تسمع ذلك حتى تذهل قائلة : أطفال ... أطفال كأبنائى ... توفى ! هلم يا بنى . . احمل سلاحك . . وبادر إلى المعركة ! اذهب ... عجل ! !

(وتنزل الستار)

* * *

وهذه هى مسرحية الأم ... المسرحية الخالدة ... وآخر ما كتب تشايك العظيم ... فأى درس ، بل دروس ، نستخلص منها :

هل هى دعوة إلى السلام كما وهم بعض نقادها . . أم هى صيحة إلى الدفاع عن الوطن بخوض غمار الحرب ما دام العدو سفاحاً لا يرحم ، ووحشاً لا يكف عن شرب الدماء !

إن الأم التى حزنت على أبنائها الأربعة كل هذا الحزن وعلى زوجها من قبل ، وطالما عارضت فكرة الحرب وأنكرتها .. لم تملك إلا أن تدفع إلى أتون المعركة بولدها الخامس الذى كان لها كل شىء ، والذى طالما حاولت أن تثنى عزيمته عن الذهاب إليها رحمة به . . . فلماذا ؟ . . . لماذا تغير موقفها هكذا بعد أن صكت أذنيها وحشية

المتوحشين وضراوة المستعمرين ، وقتلهم هؤلاء النساء والمرضى وأطفال المدرسة !!

إن الذين لا يفهمون كيف يكـــون الدفاع عن حومة الوطن حريون بأن يقرأوا تلك المسرحية . . وأن يشهدوها من إخراج مخرج عظيم يفهمها .

والذين لا يبالون بشق عصا الوحدة وتمـــزيق أوصال الشعب بالتحزب الأعمى والحزبية الحمقاء خليقون بأن يتلقوا درساً من هذه المسرحية .

يا لها من تمثيلية مليئة بالعظات والعبر .. وبالفن الرائع أيضاً بالرغم من جوها السادر الحزين .

ولعل القارئ يستطيع أن يستخلص من هذا العرض السريع ، وبعد أن يقرأ المسرحية الأصلية ما هي المسرحية الخيالية أو الـ Fantastic play وألا يخلط بينها وبين مسرحية فيها بعض الأشباح أو الأرواح مثل هاملت أو ماكبث أو مسرحيات سنكا . . . إذ الأشباح في تلك المسرحيات تكون شيئاً جانبياً أو جزئياً .. بينما يغلب الجو الخيالي على المسرحية الخيالية غلبة شديدة .

ثم لعل القارئ أيضاً يستطيع أن يستنتج لنفسه معالم المذهب التعبيري الذي يتجرد فيه البطل أو الأبطـــال من كيانهم المادي تقريباً ، ويصبحون أرواحاً خالصة تكشف لنا عن حقيقة الشخصية وفطرتها التي فطرها الله عليها حينما لم تعد

تبالى بما يزدحم به هذا العالم الفانى من نفاق ورياء وأطماع ... ولعله يدرك الآن أن وقوع البطل فى أزمة روحية ضرورة من ضرورات هذا المذهب ... كتلك الأزمة التى وقع فيها الأب وهو ينصاع لتنفيذ الأمر الخاطئ الذى أصدره إليه قائده .. أو الأزمة التى أوقع فيها الطبيب أندرو نفسه بدافع الإخلاص للعلم والتضحية فى سبيل كشف أسرار الحمى الصفراء .. أو الأزمة التى مر بها جورج وهو فى أجواز الفضاء .. أو الأزمة التى اكتسحت پيتر وكرستوفر وهما يختصمان أمام رقعة الشطرنج وفى ميدان الحزبية الأعمى والتى لزمهما بعد الموت أيضاً ... أو الأزمة التى اجتاحت تونى الصغير ودفعت به إلى المعركة .. أو الأزمة التى انتابت الأم فنهت من موقفها وعلمتها التضحية بكل شىء ... حتى بتونى نفسه .

أما المذهب الرمزى ، ففى المسرحية منه لفتات رائعة .. أولها تلك المباراة فى الشطرنج بين پيتر وبين كرستوفر .. مباراة الشطرنج التى يخوض البشر جميعاً ميدانها ثم تنتهى بفناء الجميع آخر الآمر ، وإلقاء القطع فى صندوقها الخشبى .. تماماً كما تتلقفنا القبور حينما ينتهى الأجل ... مباراة الشطرنج التى رأينا پيتر يعود إليها فى الفصل الثالث وهو روح خالصة وشبح من الأشباح ... والتى يعود إليها الأب حينما يقال له إن كرستوفر كانت له فيها فكرة

جديدة . . فهو يريد أن يدرسها ويعرفها ... حتى بعد الموت !

ومن لفتات المذهب الرمزى فى المسرحية أيضاً ذلك الشعر الذى كان ينظمه توفى . . الفتى الحالم المنطوى . . الذى دعاه داعى الوطن فى النهاية فلباه وسعى إليه .

ثم هذه الفاتنة المجهولة التى كان يحلم بها توفى . . من هى . . وما هى ؟

ثم تقسيم قطع الشطرنج إلى حمر وبيض ، والربط بين هذا ، وبين ما فى نفس كرستوفر ونفس پيتر .

ثم تغير الوضع فى رقعة الشطرنج ، وتغير الوضع فى آخر المسرحية ، حينما وقفت رحى الحرب الأهلية ، وتكتلت الأمة كلها بحزبيها لمواجهة العدو الخارجى !

ثم هذه المعركة بين التوأمين ، والتى قلبت الغرفة رأساً على عقب ، وما ترمز إليه من المعركة بين البيض والحمر وقلبها البلاد رأساً على عقب أيضاً .

وبين ذلك كله وبين المعركة بين القديم والجديد التى أشار إليها پيتر فى الفصل الأول صلات رمزية قوية .

ثم المبارزة بين پيتر وكرستوفر بعد المشاجرة .. وأول دم يسيل فى صورة تمثيلية صرفة ، لا يلبث أن يصبح دماً حقيقياً فى معركة حقيقية !

ثم سؤال الأم ولدها بيتر لماذا يحاول دائماً أن يحطم شيئاً ما ؟

وسؤالها توفى : إنه دائم التفكير فى البلاد السحيقة التالية ، ولن يعود عليه هذا بأى نفع ... وإنه لن يقوم بأى رحلة طويلة ... ثم رد توفى عليها بقوله : إنه من الجائز ألا يفعل .. لكنه يستطيع أن يتخيل ما تكون عليه الحياة هناك ... فإذا سألته أمه : « أين » أجابها إنه لا يعرف على وجه التحقيق ، لكنه يستطيع أن يرى بعين الخيال سهلا فسيحاً تكسوه الأعشاب ، وأن يرى فيه فجأة سرباً من الظباء ... إنه يعجب كيف يستحل الإنسان قتل حيوان برصاص البنادق .

ألا ما أعجب الرموز اللطيفة الخفيفة الشعرية فى المسرحية كلها !

ثم هذه الأرواح التى تزدحم بها المسرحية . . أكانت تعود من العالم الثانى حقاً ... أم كانت تبرز من نفس الأم ومن هواجس قلبها ، ومن ثمة كانت المسرحية كلها تجرى من تلك الهواجس ؟

دريني خشبه

شخصيات المسرحية
الأم . الأب
أندرو . چورچ
كريستوفر . بيتر
نتوف . الجدة العجوز
صوت رجل في تكبير للصوت
صوت امرأة في تكبير للصوت

الفصل الأول

حجرة الأب ، النوافذ مفتوحة تماماً وقد علقت على الحائط الرئيسى لوحة تمثل الأب فى لباس ضابط بالجيش وعن يمينها ويسارها علقت السيوف المختلفة الأنواع ، والمسدسات ، والبنادق ، والفلايين التركية ، وشتى التحف والطرائف التذكارية المجلوبة من المستعمرات عقب الغزوات والحملات العسكرية عليها ، كالحراب ، والدروع ، والقسى والسهام ، والخناجر ، وقرون الظباء ، وجماجم الوعول وما إلى ذلك مما يحتفظ به على سبيل الذكر من مغانم الصيد والقنص ، بينما خصصت الجدران الأخرى بخزانات الكتب ، والخزانات الخشبية ذات التقوش المحفورة ، ورف يحتوى على مجموعة من البنادق المصقولة اللامعة والسجاد — الشرق والخرائط — وجلود الحيوانات . وخلاصة القول أن الغرفة تفيض بمقتنيات الفتوة والرجولة ، وبها منضدة متينة للكتابة صفت فوقها المعاجم وكرة جغرافية الأرض وبعض الفلايين ومقتلات الأوراق المصنوعة من رصاص البنادق والمدافع إلى جانب حقائق لحفظ التبغ وما إلى ذلك من مقتنيات الرجال

ولوازمهم ، وبالحجرة أيضاً أريكة ذات وسائد تركية ، وبعض الكراسى الكبيرة (فوتيلات) الرثة الهيئة ، والمقاعد الصغيرة المستديرة بالإضافة إلى منضدة صغيرة عربية الطراز ، وضعت فوقها رقعة شطرنج ، وأخرى وضع فوقها ساعة سهل الحمل (جرامافون) وكان بأعلى الخزانة قبعات حربية وخوذات . وانتشرت هنا وهناك التماثيل المجلوبة من شتى البلاد ، والمنحوتات الفنية وأقنعة الزنوج ، وما إلى ذلك مما اعتاد الناس أن يأتوا به من رحلاتهم فى الخارج ومن المستعمرات على سبيل الذكرى ، على أن أكثر شىء فى الحجرة يبدو للناظر من أول وهلة عتيقاً بالياً قد أكل عليه الدهر وشرب ، فلنظر الحجرة بوجه عام أقرب إلى متحف خاص منه إلى حجرة جلوس .

ونرى تونى مثربعاً على الأريكة ، وقدمه بين ركبتيه وعلى عقبيه كتاب كبير الحجم اتخذ منه شبه مكتب للورقة الموضوعة فوقه ، وانى كان يكتب فيها وهو يتلو ما كتبه همساً بينما راح يحرك يده تمشياً مع الأوزان الشعرية ، ويهز رأسه ثم يزيل شيئاً مما كتبه ويظل يختبر ما كتبه فى سكون ليتأكد من صحة الأوزان .

[يدخل بيتر وهو يصفر]

بيتر : أهلا تونى فيم أنت منهمك ؟

[يسير من غير قصد نحو منضدة الكتابة ويصفر إحدى النغمات بينما كان يدير نموذجاً لكرة الأرضية]

تونى : ماذا ..؟

بيتر : أتنظم شعراً . . ؟

تونى : طبعـاً لا [يدس الورقة بين صفحات الكتاب]

وأى شأن لك بهذا على كل حال ؟

بيتر : لا شيء [يدس يديه فى جيوبه ويستمر فى صفيره وهو ينظر إلى توفى] هيا ، دعنى ألقى نظرة عليها .

توفى : [متظاهراً بالقراءة] كف عن هذا الإلحاح ؛ ليس معى شيء بتاتاً .

بيتر : هراء [ويشد شعر توفى] ليكن . احتفظ بها لنفسك أيها الصبى [يسير متمهلا إلى مائدة الكتابة ويحشر عليه بالقبض من أحد الأحقاق] يخيل إلى أنه ليس لديك شيء أفضل من هذا تشغل نفسك به هيه .. ؟

[يفتح أحد الأدراج]

توفى : ما هذا الذى تظن أنك تفعله ؟

بيتر : أوه أتسكع يا توفى لا أكثر ولا أقل [يأخذ من أحد الأدراج كتاباً طويت أطراف بعض أوراقه ويقلب صفحاته] . .

مجرد التسكع الجامح لقتل الوقت . إن ساعتى لم يحن موعدها بعد كما ترى .

[يسير إلى المائدة حاملا رقعة الشطرنج] .

اسمع يا توفى إن والدنا شرع فى حل هذه

المسألة الشطرنجية ، ولكن يبدو أن الوقت لم يتسع أمامه للانتهاء منها . وأنا أود أن أعالجها أحياناً ، لأرى ما إذا كنت أوفق إلى حلها .

[يصف بعض قطع الشطرنج البيضاء والسوداء فوق الرقعة ، ثم يأخذ فى مقارنة مواضعها مع الرسم الذى فى الكتاب ، بينما يصفر لنفسه بصوت خافت إحدى النغمات] .

توفى : [فى تردد] لدى شىء أود أن أسألك عنه يا پيتر .

پيتر : [شارد الذهن] هيه . . ؟

توفى : إنه يتعلق بجورج

پيتر : وما الذى ينتظر منى أن أعرف عنه . . ؟

توفى : أليس يحاول اليوم أن يحرز رقماً قياسياً . . ؟

پيتر : ما الذى يدفع بك إلى هذا الظن . . ؟

توفى : طلب إلىّ بالأمس مساء أن أذكره اليوم وأن أدعو له بالنجاح ، لأنه سيقوم بمحاولة أمر ما ، أظنه قال فى نحو الساعة الثالثة

پيتر : فى نحو الساعة الثالثة . . [ينظر فى ساعته] لقد أوشكت الساعة على الثالثة الآن ، إنه لم يذكر لنا شيئاً عن هذا الأمر بتاتاً .

[يستمر فى وضع قطع الشطرنج على الرقعة وهو يواصل صفيره الخافت لنفسه]

أظن أنه كان يرغب فى كتمان الأمر عن أمنا ، فهى تجزع كلما طار چورج ، ولكن أيا كان الأمر فلا تذكر شيئاً عن طيرانه أمامها .

[ينظر فى الكتاب أولا ثم إلى رقعة الشطرنج]

د٤ .. د٥ لقد وضع والدنا علامة هنا أمام د٥ كنقطة للبداية ، هى حركته الأولى .

[ولكن لست أدرى يا تونى] وأرانى لا أكف عن التفكير فى أن والدنا كان يشعر بشئ من الملل أثناء إقامته بالمستعمرات ، وهذا فى رأيى سبب اعتياده حل المسائل الشطرنجية قتلا للوقت .

تونى : وهل تشعر بالملل أنت أيضاً ؟

پيتر : لفظة الملل أقصر من أن تعبر عما أشعر به ، إن العصر الذى نعيش فيه لا بد وأن يكون أكثر العصور التى مرت بالإنسان فتوراً وسأماً .

[وهو يدير وجهه نحو تونى]

ولكن اسمع ياتونى ، كف عن هذا العبث وأرنى القصيدة . .

الجدل .. وإلا فإنكما سوف تتقاتلان مرة أخرى لا محالة .

بيتر : [وهو يجلس إلى رقعة الشطرنج] لا ، لن نتشاجر يا عزيزى . فأنا من جانبى لا أفكر فى شئ من هذا ، من ذا الذى يُعنى بمثل هذه الملاحظات الغثة ، من هذا المشاغب الضيق الأفق الرجعى .؟ ولكن ماذا يمكن أن ينتظر منه .. ؟ لقد ولد قبلى بنصف ساعة ، وهذه الفترة من الزمن يا بنى ، هى البون الشاسع بين جيل وآخر . ولكن قافلة الزمن دائبة السير ، وما من شىء يستطيع أن يعوق مسيرها . لقد ظهر على مسرح الحوادث جيل جديد أصغر سناً من الجيل السابق بنصف ساعة [يحرك بيدقا] دْ .. دْ مالم أكن قد أخطأت فإنه ليس فى التضحية بهذه القطعة من نفع يرجى كما توهم والدى .

[يعيد البيدق إلى مكانه الأول]

كرستوفر : ألا تطلعنى على قصيدتك يا توفى .. ؟

توفى : يجب أن أنقحها بعض الشئ قبل أن أطلعك عليها .

كرستوفر : [وهو يمسح أصابعه بالمنديل] دعها كما هى ،

توفى : إذن لابد أن تكون قد أدركت من عنيت بالفاتنة المجهولة .

بيتر : لعلك تعنى المنية .

توفى : إذن لماذا تسأل إذا كنت قد أدركت [يرد إليه الورقة] ما قصدت إليه ؟

بيتر : عجبت من ذكرك للموت على هذه الصورة . فأنت على كل حال ماتزال غلاماً يافعاً .

كرستوفر : [وهو يلطف البندقية فوق مائدة الكتابة] طفولة ـه هى السبب فى هذا يا عزيزى ، وإنه ليشعر بآلام تتزايد على مر الأيام . الفاتنة المجهولة ، لا تضحكنى ، قتلنى الله إذا أنا رأيت فى الموت شيئاً من فتنة أو جمال ، اللهم .. إلا

بيتر : إلا أن يكون ذلك فى سبيل قضية مجيدة .

كرستوفر : لافض فوك يابنى ، لقد أحسنت التعبير . فهناك مثلا خرقة حمراء على سارية ، أترى الموت فى سبيلها عملا مجيداً ؟ أيكون كذلك . . ؟ الموت فوق المتاريس — إن بيتر لا يستطيع أن يجعل القضية المجيدة أرخص من ذلك .. أليس كذلك ؟

توفى : [فى لهجات توشك أن تكون باكية] كفنا عن هذا

توفى : لا تأمل فى هذا لسبب واحد ، هو أنها لم تتم بعد .

بيتر : [يتجه نحوه] هيا : لا تكن عنيدا فأنت فتى طيب .

توفى : [يقدم الورقة] أجل ، ولكنى إذا كنت قد أخفقت فيها ، فإنك لن تعفينى من اللوم أبدا .

بيتر : [وهو يتناول الصفحة] إن كل ما أريده ، هو أن أرى ما إذا كان هنالك غلطات فى الهجاء .

[يقرأ القصيدة لنفسه بانتباه ملحوظ]

[يدخل كرستوفر وبيده بندقية]

كرستوفر : أأنتما هنا ؟ [يحرك صمام الأمان فيسمع له صوت] لقد اضطررت إلى حل جميع أجزاء هذه اللعينة وتنظيفها ، ولكنها الآن كأحسن ما تكون ضبطا .

[يضع البندقية فى إحدى عيون الرف الخاص بالبنادق]

يجب أن نجربها يوما ما ، ولكن .. مابكما ؟ وفيم أنتما منهمكان أيها الفتيان ..؟

[يتناول بندقية أخرى من الرف ويفحص مسمار الأمان فيها]

توفى : [وهو ينظر إلى بيتر فى شىء من القلق] لا شىء ذو أهمية .

بيتر : اسمع ياتونى ، لقد زاد هذ البيت تفعيلتين عن الوزن .

تونى : أى بيت تعنى ؟ دعنى أرى .

بيتر : البيت الذى أوله « ولكن أنت أيتها الفاتنة المجهولة ماتزالين تأتين » .

كرستوفر : [وهو يلتفت على مسمار الأمان] مرحى شعر . . ؟ هل تونى غارق فى الأوزان من جديد . . ؟

[يضع البندقية على المنضدة ، ويخرج من الدرج شيئاً من الزيت وقطعة قماش من النهل]

بيتر : ومن ترى تكون هذه الفاتنة المجهولة

تونى : [يشب محاولا خطف الورقة منه]
أعطنى هذه الورقة ... إننى على يقين من أننى قد شطحت فيها شطحات نابية اقذف بها إلىّ ، وأنا أحرقها على الفور .

بيتر : ولكنى أود أن أعرف حقا ، لاتموه على ياتونى ، والحق أنى لا أجد ضيراً فى إخبارك بأن القصيدة لاعيب فيها .

تونى : وهل تعنى حقا مانقوله ؟

بيتر : [وهو يقرأ لنفسه] فعلا ! إن لها فى نفسى وقعاً جميـــلا . إنك تبشر بأن تكون سيد الشعراء .

فإنك كلما حاولت تنقيحها أفسدتها .

توفى : [يناوله الورقة] ولكن لا تسخر منى يا كرستوفر .

بيتر : [وهو جالس إلى رقعة الشطرنج] لا عليك منه . كرستوفر لا يسخر من شيء أبداً ، كل ما يعمله هو أن يفحصها بمنتهى الدقة ؛ ليرى إذا كان فيها ما ينم عن أى ميل شيوعى ، كالشعر الحر مثلا أو المطلق .

توفى : ولكنها ليست من الشعر الحر الذى لا يتقيد بالبحور .

بيتر : هذا من حسن حظك ، وإلا أعلن كرستوفر على الملأ أنك خائن لوطنك . فأنت لا ينبغى لك أن تحاول قلب النظام والأوضاع القائمة ، دع هذا لى وحدى ، فأنا شيطان هذه الأسرة ، ماذا لو أنا حركت هذا الفيل ؟ [يهز رأسه] لا ، هذا يُعرّى استحكاماتى الداخلية ويعرضها لهجوم مباشر من جانب البيض ، لحظة واحدة . ولكن أنتِ أيتها الفاتنة المجهولة تأنين .

توفى : دع كرستوفر يقرأها .

بيتر : عفواً . كنت أفكر بصوت عال . هذه بلية كل ثرثار .

كرستوفر : [وهو يضع الورقة على المائدة] مريع !

تونى : أرديئة هى إلى هذا الحد ؟

كرستوفر : مؤلم .. يبدو إن هذا الطفل سوف يصبح شاعراً مفلقاً على الرغم من أن هذه الأسرة أسرة ضابط كريم ، نقى السريرة ، طاهر الذيل ، حسن السمعة ، ألا تظن أنه يجدر بى أن أوسعه ضرباً تأديباً له ؟

تونى : [متهلل الوجه] وهل أعجبتك حقاً ؟

كرستوفر : [يعبث بشعره] ما زال أمامك الشىء الكثير من الدرس والتحصيل يا تونى ، وأنصحك أن تسقط موضوع الموت من شعرك ؛ فليس بالموضوع الذى يليق بمثل من كان فى سنك . إذا كنت تريد موضوعاً لنظم الشعر ، فلماذا لا تكتب عن الحياة ..؟

تونى : إذن أنت ترى أن أستمر فى قرض الشعر .

كرستوفر : [وهو ينظف البندقية من جديد] أجل لقد علمت أن لكل عضو فى أسرتنا نزعة تختلف عن نزعة أخيه . أحسب أنها لعنة حلت بأسرتنا .

بيتر : أتعلم أن جورج يقوم اليوم بمحاولة لضرب الرقم القياسى ؟

كرستوفر : [يتوقف عن تنظيف البندقية] من قال هذا ..؟

بيتر : تونى ، ويقول إنه سمع ذلك من جورج نفسه

كرستوفر : [يعلل من النافذة] إن الجو صحو وملائم له فلنسأل الله له السلامة والتوفيق .

تونى : ترى أى نوع من الطيران يحاول ضرب الرقم القياسى فيه ..؟

بيتر : الارتفاع

كرستوفر : أيحمل شحنة [ينحنى فوق بندقيته مرة أخرى]

تونى : لابد وأن يكون مثيراً للغاية أن تحلق فى أجواز الفضاء على مثل هذا الارتفاع الشاهق حيث لاترى شيئاً سوى زرقة السماء الصافية وحيث تظل تكافح بكل ما أوتيت من قوة فى سبيل المزيد من الارتفاع .

بيتر : أجل ، ولا بد أن تشعر بالبرد القارس ، وخاصة فى يديك .

كرستوفر : أراهنك على ماشئت من جعل ، إن جورج سوف يحطم الرقم القيـاسى فى يوم من الأيام . إنه يحذو حذو والدنا .

تونى : فى ماذا .. ؟

بيتر : [وهو منهمك فى حل المسألة الشطرنجية] فى الجرأة والإقدام .

كرستوفر : [وهو ما يزال مشغولا بتنظيف البندقية] فى الشعور بالواجب يابيتر .

تونى : لقد أسعدكما الحظ بمعرفة والدنا على الأقل ، ليت الحظ واتانى مثلكما . وهل كان أندرو يحذو حذوه أيضاً .

كرستوفر : أجل وهذا هو السبب فى رحيله إلى المستعمرات .

تونى : وماذا عنك أنت ؟

كرستوفر : إننى أحاول ياتونى . أحاول بكل ما أستطيع من جهد .

تونى : وماذا عن بيتر ؟

كرستوفر : إنه يبذل قصارى جهده ليكون أقلنا اقتداء به .

بيتر : أنا ..؟ إننى يا عزيزى أحاول مااستطعت أن أحل مسائل الشطرنج المعقدة

كرستوفر : ربما كان ذلك ، ولكن فيما عدا ذلك من تصرفات — كم تكون الصدمة فظيعة قاسية لوالدنا المسكين .. ! كان رائدا فى المدفعية وهذا ابنه يود بجدع الأنف لو

يقلب الدنيا رأساً على عقب ، إنها لكارثة عالمية مفجعة ، ترى لماذا يعلو الصدأ بنادق والدى بمثل هذه السرعة . إنها ظاهرة محيرة

پيتر : لا تعر قوله أى اهتمام يا بنى ، إن والدنا لم يكن يرى إلا حيث تتحرك الأشياء . لقد كان دائب الحركة . وفى هذا أنا أحلو حلوه وأنهج نهجه [يحرك إحدى القطع على رقعة الشطرنج] وهذا هو السبب فى تقديم البيدق الأحمر إلى ف ٤ . الأبيض فى موقف دفاع .

كرستوفر : الأبيض فى موقف دفاع ! دعنى أرى . [يتقدم إلى حيث رقعة الشطرنج]

پيتر : الأحمر يهجم . الأبيض يتقهقر .

كرستوفر : [بجانب رقعة الشطرنج] اسمع يا پيتر ، ليس هذا من الإنصاف فى شئ ، ولو كان والدنا هو الذى يلعب ، لحرك الفرس إلى د٦ ، وإذا ما تحرك الفرس إلى د٦ . . .

پيتر : لا تتدخل فى لعبتى .

كرستوفر : إنها لعبة والدنا . انظر لو تحرك الفارس

الأبيض إلى د٥ لاستطاع أن يكسب الدور
فى النقلة الثالثة .

بيتر : ولكن هذا ما لا رغبة لى فيه ياعزيزى ،
إننى أريد أن تكون الهزيمة للفريق الأبيض
وهذا هو السبب الذى من أجله سيتخطى
البيدق الأحمر المتاريس ويخترق الحصار
ليطرد الفارس الأبيض ويجليه عن موضعه .

كرستوفر : يالله ! إذن لا بد من أن يكون فى المسألة
غلطة . إن الرجل الذى وضع المسألة لم
يُدخل هذا الاحتمال فى حسبانه .

بيتر : المسألة يمكن حلها على وجهين يا سيدى
العزيز .

كرستوفر : الحل الأول هو طريقة والدى .

بيتر : والحل الثانى هو طريقة الثورة ، إلى الأمام
أيها البيادق المظلومة ، المهضومة الحق ،
الرخ فى خطر [كك]

كرستوفر : اسمع يا بيتر . أعد البيدق الأحمر إلى
موضعه وإلا فسدت الخطة بأكملها .

بيتر : أى خطة ... ؟

كرستوفر : خطة والدى بالطبع لو كان هو اللاعب
لحرك الفرس إلى د٥ . أعد البيدق إلى مكانه

بيتر : لماذا . . ؟

كرستوفر : أحب أن أرى كيف كان والدنا ينهى اللعب.

بيتر : ولكن والدنا ليس هو الذى يلعب الآن . إن اللعب قد تغير ، والوضع يختلف اليوم عما كان عليه بالأمس . هذا دورنا . لقد انتهى الأمر أيها الفارس . لا شيء في مقدورك يستطيع أن يحول دون تقدم هذا البيدق الأحمر إلى الأمام ، وسوف يتحول في الخطوة الرابعة إلى وزير عظيم جبار . ولكن عندنا اسم جديد له ندعوه به اليوم ..؟

كرستوفر : ماذا تسميه . . ؟

بيتر : [يتحول منظره فجأة إلى الصرامة والجد] الحكومة الجديدة يا عزيزى ، الحكومة الحمراء — وسوف يتم لها الأمر عن قريب .

كرستوفر : لا أظن ذلك يا بيتر ، فما يزال ثمة حركة أخرى .

بيتر : وأى حركة تكون هذه . . ؟

كرستوفر : هذه [يطيح بجميع قطع الشطرنج]

بيتر : آه ، هذه تسمى طريقة القوة الغاشمة [ينهض واقفاً] ولكننا سنجد طريقة ، أخرى لحسم هذا النزاع بيننا .

توني : [وكان حتى هذه اللحظة يقرأ وهو جالس على الأريكة يرفع رأسه منزعجاً] بالله عليكما كفّا عن السياسة واتركاها تستريح قليلا . إنى لا أستطيع أن أتحمل كل هذا الشجار بينكما .

كرستوفر : لا تنزعج ، تمالك أعصابك، نحن إنما نمزح نروّحاً عن النفس ، معركة ودية لا غير . أليس كذلك يا پيتر . . ؟

توني : إنى أعلم تمام العلم أنكما لا تمزحان . أعرف ما يدور فى خلدكما

پيتر : أصبت يا توني ، نحن جادون كل الجد ، هذه هى المعركة بين العالم القديم والعالم الجديد ، ولكن لا تُرع فسوف أحسم الأمر بالقضاء عليه . [يتناول خوذة مخيفة وحشية المنظر من فوق الحائط ويضعها فوق رأسه] .

كرستوفر : [وهو يضع خوذة من خوذات الفرسان فوق رأسه] هيّا إذن .. [يتناول سيفين من السيوف المعلقة على الحائط] اختر سلاحك يا سيدى .

پيتر : [وهو يلقى أحد السيفين اختبارا له] حسبى هذا.. [يقفان كل منهما على حذر من الآخر] كن حكما بيننا يا توني .

توني : [وهو يدنى رأسه فى كتابه ويضع سبابته فى أذنيه]

لقد قلت لكما ، إنى لا أطيق هذا المنظر .

كرستوفر : استعد — هيا . . [يبدآن مبارزة تصحبها الصرخات المناسبة]

پيتر : ليسقط جميع الطغاة والخونة

كرستوفر : هيا . . .

پيتر : أول دم يسيل ؟

كرستوفر : جرح سطحى بسيط بالكتف ليس إلا .

[يواصلان المبارزة والصوضاء]

پيتر : سوف تنتهى المعركة بفوزنا — ستكون لنا اليد العليا .

كرستوفر : لكم اليد العليا ! انتظر وسوف نرى أصبتك بسلاحى .

پيتر : خدش بسيط ، إلى النزال . لا تقل أبداً قد هلكت .

كرستوفر : لن تصل إلىّ أبداً . .

پيتر : هذه بداية النهاية .. أصبتك . .

كرستوفر : أنت الذى أصبت لا أنا [يترنحان] قل لى يا پيتر هل آلمتك الطعنة . . ؟

پيتر : طبعاً لا . . احترس [يقلبان المقاعد والموائد الصغيرة] لا

كرستوفر : هيّا

بيتر : قف . . هذه ضربة كانت تقطع وريد رقبتك، ولا ريب يا كرستوفر ، فأنت ميت ؟

كرستوفر : [جرح ، ولكنه يواصل القتال] إلى آخر نقطة من دمى . .

توفى : [صارخاً] كفا عن صياحكما . . كفى ، كفى ...

بيتر : سوف أفرغ منه بعد قليل يا توفى البيدق يهجم ها ... ها ، العالم القديم يتعثر وينهار .

كرستوفر : انتهى الأمر . هذه الطعنة اخترقت قلبك يابيتر [ينكس سلاحه]

بيتر : [يجيبه بسلاحه] شكراً . لقد هلكت .

كرستوفر : [يجيبه بسلاحه] إنى آسف لك يا عزيزى

بيتر : ولكن البيادق الحمراء سوف تزحف خلفى بالآلاف — فليحيا الرفاق !

[تدخل الأم وتقف على عتبة الباب]

الأم : يا أولاد ! يا أولاد ماذا تصنعون ؟

بيتر : آسف يا أماه [يبادر إلى تعليق سيفه على الحائط بمنتهى السرعة] لقد قتلنى كرستوفر يا أماه ، طعنتى فى سويداء القلب طعنة نجلاء [يخلع خوذته]

الأم : لماذا وأنتما توأمان تتشاحنان على الدوام

انظرا ماصنعتما بهذه الغرفة ، وما أحدثتما فيها ثانية من فوضى ، على الرغم من أنها غرفة والدكما أيها الشقيان ..

بيتر : لا عليك يا أماه ، سنعيدها إلى ماكانت عليه من نظام رتيب ، هيا ياكرستوفر

[يسرعان بإعادة الغرفة إلى نظامها السابق ، ويرفعان الموائد والمقاعد التى قلبت رأساً على عقب]

الأم : اتركاها كما هى ، أنا أدرى بطريقة تنظيفكما وتنسيقكما للأثاث. إنها ستكون أسوأ حالا مما هى عليه الآن عندما تفرغان منها .

كرستوفر : [يزحف على يديه وركبتيه سوياً السجادة] وأنت على حق يا أماه ، كف ياپيتر

پيتر : [وهو أيضاً على يديه وركبتيه ، يدفعه جانباً] كف أنت نفسك [يتشابكان على الفور ويتدحرجان فوق أرض الغرفة]

پيتر : سوف أصليك ناراً حامية يافتى . . .

كرستوفر : [لاهثاً] كل ما أرجوه أن تحاول هذا .

پيتر : فلننتظر [يتدحرجان فوق أرض الغرفة]

الأم : فى ذلك ما يكفى الآن . إنكما سوف تحطمان كل شئ فى يوم من الأيام . إننى فى

حيرة من أمركما . أما تخجلان من أنفسكما وفى مثل سنكما . ترى ماذا يقول توفى عنكما .. ؟

بيتر : [وهو يخل سبيل كرستوفر] تعـــال يا توفى دعنى أريك كيف أصنع .

توفى : لا ... شكرا

الأم : توفى لا يرغب فى معرفة شىء من ذلك . والآن اعزبا عن وجهى . ما الذى حدا بهما إلى التشاجر يا توفى ..؟

توفى : رفض بيتر أن يحرك بيدقه إلى المربع د٣ .

كرستوفر : [وهو يجمع قطع الشطرنج المبعثرة على الأرض] هذه يا أمى هى بعينها النقلة التى كان ينقلها أبى لو كان حياً . فأنا إنما كنت أدافع عن تقاليد الأسرة .

بيتر : هذا غير صحيح يا أمى . إن ثمة وجهين لحل المسألة .

كرستوفر : [وهو يعيد قطع الشطرنج فوق الرقعة] إذن لماذا لا تلعبها كان يلعبها أبى ..؟

بيتر : ولم لا ألعبها على الطريقة الأخرى . إننى أجرؤ على القول بأن أبى لو كان حيـــا لاتبع الطريقة عينها التى ألعب بها الآن .

الأم : هيا .. هيا . كفا عن النقاش ، واعزبا عن وجهى الآن . يجب أن أعيد ترتيب هذه الغرفة بعد عبثكما بها أيها الشقيان اللذان ليس منهما نفع يرجى . .

كرستوفر : سوف نساعدك يا أماه .

الأم : ما أعظمها مساعدة . إننى واثقة من أنكما لا تعرفان حتى كلمة الترتيب .

كرستوفر : كيف لا يا أمى . إنها إعادة الأشياء إلى وضعها الأول . .

بيتر : إنها وضع الأشياء حيث يجب أن توضع .

الأم : لا ياحبيبى . إنها وضع الأشياء بحيث تكفل للإنسان الشعور بالراحة ، ولكنك لن تفهم هذا . والآن هيا أنتما الاثنان اعزبا عنى ..

كرستوفر : هيا بنا إلى الحديقة لنجرب هذه البندقية .

بيتر : أجل ، وسنرى من منا يستطيع أن يصيب زجاجة على مرمى خمسين ياردة ، ماذا ترى؟

الأم : لماذا تحاول دائماً أبداً أن تحطم شيئاً ما..؟

كرستوفر : أآت أنت معنا يا تونى . . ؟

[يتناول من الرف البندقية عينها التى أتى بها إلى الغرفة]

الأم : لا . إن تونى لا يحب ضرب النار ، أليس كذلك يا تونى ؟

بيتر : إن تونى مختلف . هذه هى الحقيقة .

الأم : لا . إنه ليس بمختلف . أنت لا تفهمه . . إن طبعه يختلف عن طبعك ، هذا كل ما فى الأمر .

كرستوفر : كل واحد منا يختلف عن الآخر يا أمى :

الأم : ليس إلى الحد الذى تتوهمه . والآن اخرجا أيها الشقيان الكبيران .

كرستوفر : [يقبل وجنتها] أما تزالين غاضبة .. ؟

بيتر : [يقبل وجنتها الأخرى] ماذا ! أمنا غاضبة ..؟ لقد راضت نفسها الآن على كل ما يصدر منا

الأم : أتعرفان أين ذهب جورج . . ؟

كرستوفر : لا . ترى أين يكون ؛ أتعرف أنت ياتونى .؟ أتعرف أين هو ؟

تونى : قال ... إنه ... ذكر شيئاً عن اجتماع يريد حضوره .

الأم : مع من . . . . ؟

بيتر : ربما مع فاتنة مجهولة يا أمى . .

[يتدافع الشقيقان إلى مغادرة الغرفة]

الأم : وماذا كنت تفعل هنا يا تونى .

تونى : لا شىء ، كنت أقرأ ليس إلا . .

الأم : كتاباً من كتب أبيك ؟

تونى : نعم يا أمى كنت أقرأ كتاباً عن الرحلات ..

الأم : إنك دائم التفكير فى البلاد النائية السحيقة . ولكن هذا لن يعود عليك بأى نفع يا تونى .. إنك لن تقوم أبداً بأية رحلة طويلة ، أليس كذلك . . ؟

[تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وهى ترتب أثاثها وتعيد تنسيقها فى هدوء]

تونى : من الجائز ألا أفعل ، ولكننى أستطيع أن أتخيل ما تكون عليه الحياة هناك . .

الأم : أين . . ؟

تونى : لا أعرف على وجه التحديد ، ولكننى أستطيع أن أرى بعين الخيال سهلا فسيحاً مكسواً بالحشائش الطويلة وفجأة أرى فيه قطيعاً من الظباء — إننى أعجب كيف يستحل الإنسان قتل الحيوان برصاص البنادق . .

الأم : كان والدك يقتلها أثناء الصيد ، ولكنك لن تفعل شيئاً من هذا . أليس كذلك ؟

[تطوق رقبته بذراعيها] أحب أن تكون دائماً كما أنت الآن — لابد من أن يبقى واحد منكم فى البيت يا تونى ، وإلا فلن يكون ثمة بيت على الإطلاق . أليس كذلك ...؟

[تقبله] والآن دعنى واذهب ، فعندى هنا ما يشغلنى .

[يخرج توفى]

الأم : [تواصل إعادة تنسيق الغرفة فى هدوء وسكون] سوف يكون توفى مختلفاً عنهم ، يجب أن يكون مختلفا عنهم [تقف أمام صورة الأب ، وتنظر إليها ثم تهز كتفيها ، وتذهب لإرخاء الستور الثقيلة فيغمر الحجرة الظلام أو يكاد . تعود الأم بعد ذلك إلى صورة الأب ، وتضىء مصباحاً موضوعاً أمامها] لماذا تواصل اجتذابهم إليك ..؟ أنت تعلم أنى لا أحب ذلك . حتى توفى الذى لم يرك أبداً يتحين الفرص ليمكث فى هذه الحجرة . لماذا تعاملنى هذه المعاملة يارتشارد .. ؟ إنى لا أريد أن أراهم منجذبين إليك على الدوام .

الأب : [يتقدم متمهلا من الركن المظلم مرتديا نفس الزى الذى يظهر به فى اللوحة المعلقة على الحائط] إنى لا أجتذبهم إلى ياحبيبتى . إنهم يأتون من تلقاء أنفسهم ، وأنت تعلمين مبلغ ميلهم إلى اللعب والعبث بالأشياء الموجودة بهذه الغرفة منذ نعومة أظفارهم ، فلا يأخذنك العجب مما يفعلون .

الأم : [تستدير لمواجهته دون أن يبدو عليها أى أثر للدهشة]

هذا ماتقوله أبداً يا عزيزى ، ولكنهم الآن وقد شبوا عن الطوق مازال تستهويهم هذه اللعب الموجودة بحجرتك ، وما يزالون جد حريصين على المجىء إليك .. ؟

الأب : إنما تدفعهم إلى ذلك ذكريات الطفولة ، وربما كان من الأوفق أن تتخلصى من هذه الأشياء البالية . ما رأيك فى هذا ..؟

الأم : أتخلص منها ..؟ أتخلص من مقتنياتك .. ؟ لايارتشارد ، إن لى بعض الحق فيها . إن وجودها هنا كان من أجلى [تجلس على الفوتيل] ثم إن الأولاد عند ما يأتون إلى هنا ، فإنه يبدو لى دائماً كما لو أنهم قد تركوا وراءهم شيئاً فيها يجعلنى أتصور أنك أنت الذى كنت فيها .

الأب : [وهو يجلس على كرسى ، جلسة الفارس على صهوة الجواد]
أوه يا حبيبتى ، إنها مجرد رائحة التبغ .

الأم : أوه .. إنه شئ أكثر من التبغ ، إنه شئ ينبض بالحياة . فما هو إلا أن أغمض عينى حتى يغشانى إحساس قوى ملح .. كان رتشارد يجلس هنا ... رتشارد ... رتشارد ...

الغرفة ما تزال غاصة بك . لا تقل إنه الأثاث العتيق هو الذى خلفته وراءك فيها .. إنه أنت ، أنت الذى تملؤها ، إنك تفسد علىّ الأولاد يا رتشارد . .

الأب : لا تتغابين — أنّى لى أن أفسدهم عليك .. إن الإنسان بمجرد أن . . .
كم سنة مرت على هذا . . ؟

الأم : أنت تعرف ولا شك .. سبعة عشر عاماً ..

الأب : كل هذه المدة الطويلة ..؟ إذن كان يجب أن تعلمى أن الإنسان الذى قضى نحبه من سبعة عشر عاماً، لا يمكن أن يبقى منه شئ يستحق الذكر يا حبيبتى ، والقليل الذى يبقى منه يتناقص يوماً عن يوم ،

الأم : ليس هذا بالأمر الهام ، وإنما الذى يهمنى هو أنك تفتنهم وتجذبهم إليك . . وهذا هو السر فى مجيئهم على الدوام إلى هذه الغرفة .. قريبك يستهويهم كلما تذكروا أن أباهم كان جندياً وبطلا . . إنى أعرف كيف يسحرهم هذا ، كيف يسحرهم دائماً ويخلب لبهم . .

الأب : كان ينبغى لك يابنيتى المحبوبة ، ألاّ تخبريهم

بشيء من ذلك . لقد أخطأت فى هذا ..

الأم : كان ينبغى ألا أقول لهم . . ؟ جميل منك أن تقول مثل هذا القول . بأى شيء كنت أحيى ذكراك إذن ، إن لم أرو لهم عنك ما رويت . . ؟ إننى منذ فقدتك . يا رتشارد لم أنعم بشئ من مسرات الحياة اللهم إلا ذكراك والأولاد . إننى أعلم مبلغ ما أدين لك به من فضل بسبب هؤلاء الأولاد ، إذ ما أقل الأبناء الذين يحق لهم أن يفخروا بآبائهم ؛ كما يحق لأولادى أن يفخروا بأبيهم . ولا إخالك تعلم مبلغ اعتزاز أولادنا بذكراك . أكنت تريدنى على أن أحرمهم هذا التراث ، هذا الحق المكتسب .

الأب : إنك تغالين يا عزيزتى . . ولا تغضبى إذا أنا قلت لك إنك كنت على الدوام مسرفة من هذه الناحية خاصة . فمن ناحية هذا الموضوع ، لم أكن بطلا بالقدر الذى تتوهمين ، فالعمل الذى أنجزته لم يكن شيئاً مذكوراً . اصطدام مع الأهالى لا أكثر ولا أقل ... وحتى فى هذا لم تكن الغلبة لنا . . .

الأم : هذا ما تقوله دائماً ، ولكن رئيسك المباشر قائد الحملة .. كتب إلىّ يقول .. « إن من حقك أن تندبى بطلا من الأبطال ، فزوجك تطوع لإنجاز عملية محفوفة بأعظم الأخطار ، فلك أن تفخرى به كل الفخر .

الأب : يابنيتى المحبوبة ، إنّ هذا إلا كلام أجوف ، ولعلها طريقتهم فى اصطناع الرقة عند ما نقلوا إليك الخبر تخفيفاً عنك ورحمة بك .. بطل ! ما أروع هذا التعبير . كان لابد من أن يضطلع أحدنا بالعملية .. ولو لم أتطوع أنا لها لتطوع غيرى .. هذا بالاختصار ، هو كل ما فى الأمر .

الأم : نعم ، ولكن ربما لم يكن المتطوع الآخر أباً لخمسة أبناء يا رتشارد ..

الأب : ربما ، ولكن ليس لزاماً على الرجل أن يكون جندياً غير كفء لمجرد كونه أباً لخمسة أولاد ، إننى كما قلت ، لم أفعل شيئاً خارقاً للعادة .. ولكنه أمر لا أنتظر منك أن تفهميه ياعزيزتى ، لأننا ونحن فى محرة القتال قد تختلف وجهة نظرنا من بعض الوجوه ، ومن العسير أن أشرح

لك ذلك ، ولكن الذى أعنيه هو أن ما يصفه الناس بأنه من أعمال البطولة الرائعة وما إلى ذلك ، إنما يبدو لنا فى الواقع من الأعمال العادية عند استعراض الموضوع من وجهة نظرنا .. فهو يبدو جزءاً من العمل المنوط بنـــا ، والذى لا مفر من إنجازه . كان لا بد من تغطية جناحنا وحمايته ، هذا كل ما فى الأمر ، والذى حدث بالفعل ، هو أنه كان لابد من حماية جناح الكتيبة الرئيسية أثناء تقدمها هنا وهناك . . وكان هذا بحذاء ممر جبلى فاضطرت فصيلتنا إلى الصمود أمام العدو فيه لا أكثر ولا أقل ، ولم يقتل من رجالنا سوى اثنين وخمسين رجلا فقط. هذه كل خسائرنا ، مســـألة غير ذات أهمية .

الأم : وكم كان مجموع عدد التجريدة . . التى قتل منها اثنان وخمسون . . ؟

الأب : اثنان وخمسون طبعاً ، ولكننا احتفظنا بمراكزنا ستة أيام بلياليها . ولست أكتمك أن أمر ما قاسيناه من مشاق ، كان

بسبب العطش ، فلم يكن معنا شئ من الماء إطلاقاً ، فأجهدنا العطش جهداً بالغ الحد ، ثم إنني إلى جانب هذا كله ، كدت أجن من الغضب .

الأم : وفيم كان غضبك ؟

الأب : لأن كل هذا لم يكن من الضرورى أن يحدث ، فقد أخطأ أميرالآ لاى (السيد) ، كان وجه الرأى أن تبقى الفصيلة عند السفح ، كما كان من الواجب إرسال أورطتين على الأقل للسيطرة على الممر الجبلى ، ومعهما بطارية مدفعية جبلية أيضاً . كنت أعلم الحاجة إلى كل ذلك مقدماً ، وأفضيت برأيى هذا إلى العميد ، ولكنه أجابنى بقوله : « يبدولى يا سيادة الصاغ (الرائد) إنك تشكو من البرد فى قدميك ، وهو تعبير عن الخوف .

الأم : أمن أجل هذا يارتشارد مشيت إلى حتفك .

الأب : هذا هو السبب الرئيسى يا حبيبتى ، السبب الرئيسى ، أردت أن أبرهن للعميد على أننى كنت على حق فيما أشرت به ، إنه كان جحشا كبيراً ياعزيزتى ، تأمل كيف ترك

الأهالى يغررون به على هذه الصورة المزرية .

الأم : ومن أجل هذا . . من أجل هذا ..

الأب : يخيل إلى أن المسألة تبدو سخيفة فى رأيك ولكنها فى الجيش يا عزيزتى ، تعد من المسائل المتعلقة بالشرف ، ومن ثم لها الأولوية على كل مسلك آخر .

الأم : إنك لم تفض إلى بشئ من هذا قبل اليوم ، وإذن فأنت قد لاقيت حتفك ، لأن العميد أصدر أمراً خاطئاً .. ؟

الأب : شئ من هذا القبيل ياعزيزتى . ولكن مهما يكن من أمر ، فقد أثبت أنى كنت على حق فيما ذهبت إليه ، وليس هذا بالأمر الهين ..

الأم : أهذا كل ما كنت تفكر فيه ؟ لاشئ سوى أن تبرهن على أن الصواب كان إلى جانبك ، فلم نخطر لك نحن على بال ، أليس كذلك ... ؟ ولا عنيت بالتفكير فى أمرى ، وإنى كنت أنتظر مولوداً جديدا ..

الأب : طبعا فكرت ياحبيبتى ، وهل كنت أملك إلا أن أفكر فى ذلك ..؟ إنه لافكرة لديك كيف تمر

كل هذه الأفكار بالإنسان فى ساعة الخطر
عند ما يتحرج الموقف وتضيق به السبل ،
فهو مثلا يقول لنفسه وهو يقطع الفيافى على
صهوة جواده : ربما واتانى الحظ ، فأعود
إلى الوطن بعد ثلاثة أشهر أو نحو ذلك ،
وفى هذه الأثناء يكون الطفل قد ولد .
سوف أنوخى منتهى الحيطة ، فأترك سيفى
فى المدخل وأمشى على أطراف أصابعى ، ثم
على أطراف أصابعى . ثم إنى أنتظر من أندرو
الصغير أن يحيينى تحية عسكرية سليمة . .
وماذا بعد ذلك . هناك جورج ، وأظنه سوف
يربنى لعبة أو أخرى من لعبه . وهاهما التوأمان
يتشابكان ويتدافعان ، كل منهما يحاول أن
يجلس فى حجرى قبل أخيه ، تعال أيها
الصعلوك الصغير ، إن ثمة متسعاً لكما
جميعا ، ولكن كفانا بالله عن هـذا
العراك .. وها هى زوجتى .. لقد انقضت
ستة أشهر أو أكثر ، منذ أن رأيتها آخر
مرة ، ستة أشـهر أو أكثر ، أتراها
عندما آخذها بين ذراعى ، ستذوب كما لو كانت
قد خلقت بغير عظام ، وتنهد بصوت

رقيق ناعم : رتشارد ... [ينهض واقفا] والآن ياحبيبى ، كيف كان الحال معك طوال هذه الفترة المديدة ..؟

الأم : [وهى تنهض عليها] فيم السؤال يا حبيبى .. لقد كنت أترقب مقدمك بطبيعة الحال ، لقد أنجبت لك ولداً آخر ، إنه رقيق نحيف الجسم ، ولا يعلم إلا الله سبب ضعفه وهزاله . ربما كان سبب ذلك ، فرط الدموع التى كنت أذرفها عليك .

الأب : سوف ينمو يا عزيزتى ، ويتغلب على ما به من هزال ، ويشتد ساعده مع مرور الأيام ويصبح قوياً مثل أشقائه ، بل بطلا من الأبطال المشهود لهم أيضاً . سوف ترين ذلك بنفسك .

الأم : [فى ضيق وقلق مفاجئ] لا .. لا ، أنا لا أريد أن يكون ابنى بطلا أبداً ، كفانى ما منيت به بسبب البطولة يا رتشارد ، لقد دفعت فى سبيل هذه البطولة من الثمن ما فيه الكفاية ، وفوق الكفاية . أما فقدتك بسببها .. ؟ أمدرك أنت مبلغ خسارة المرأة حينما تفقد زوجها .. ؟ أما تعلم أن الذى

بقى منى بعد رحيلك لم يكن شيئاً مذكوراً ، بل أقل من أن يؤبه به أو يقام له وزن ..؟ كيف طاوعك قلبك على معاملتى على هذه الصورة ، فتدع نفساك تقتل فى سبيل غاية ليس لها ما يبررها من بعيد أو قريب . . ؟

الأب : إننى لم أستطع لذلك دفعـاً يا حبيبتى . . فعند ما قال العميد اللعين بأن قدمى باردتان — لم يكن أمامى سوى مسلك واحد . أليس كذلك ؟ ثم هو قالها على مشهد ومسمع من الضباط الآخرين . « يبدو لى أيها الرائد كما لو كانت قدماك باردتـين » . ترى ماذا كنت تقولين لى يا حبيبتى . لو كنت حاضرة معنا فى تلك اللحظة ؟ .

الأم : [فى صوت عالت وهى تنهض واقفة] كنت أقول « يجب أن تذهب يارتشارد ، وألا تدعه يخاطبك بمثل هذا الكلام » .

الأب : أرأيت يا حبيبتى ، أنك كنت تشعرين بمثل ما شعرت . . ؟

الأم : أجل لأننى أحببتك يارتشارد . لأنه لابد لى من المداومة على حبك ، ولكن لايجب أن تعير هذا أدنى اهتمام يا حبيبى . إنك

لا تدرك معنى حب المرأة عند ما تحب أحداً من الناس بكل كيانها على طريقتها النسائية ، حيث يتلاشى العقل والمنطق ، والواقع أنى أنا نفسى لا أعرف تعليلا للدوافع التى تدفعنا إلى التصرف على هذه الحال ، كل ما أعرفه هو أن ما جذبنى إليك، وملك علىّ حواسى وعواطفى بصورة طاغية شاملة ، كانت هيئتك العسكرية بارتشارد ، ورنين مهامزك وشجاعتك ومشيتك المتعالية، وشرفك ومروءتك ووداعتك المطبوعة التى لا تكلف فيها . لست أدرى لماذا أحببت فيك هذه الصفات إلى درجة تقرب من العبادة ، لعـل ذلك كان لسذاجتى ، لقد كنت بك متيمة ، كنت بك مفتونة . ولكننى حتى الآن ، وإلى هذه اللحظة لا أستطيع أن أتحمل حتى مجرد الظن بأنك قد تصرفت فى أى وقت تصرفاً رخيصاً يتنافى مع ما عهدته من شهامتك .

الأب : . . . أرأيت إذن لو أنى كنت امتنعت عن الذهاب . . .

الأم : لا . . لا يارتشارد لا تؤول مغزى كلامى

حرفياً ، إذ ربما ، بل من المؤكد قطعاً أنى كنت أتغلب على شعورى ، وأتغاضى عن عدم تصرفك كجندى إلى النهاية ، إذن لكنت عدت لى وإلى أولادنا ، وتركت الجيش ، ولرضتُ نفسى على ذلك وارتضيت الوضع الجديد . . ولأقمت على حبك كالمعتاد . ربما كان ذلك على صورة أخرى . إنى أدرك تمام الإدراك ، أنك لو كنت عدت إلىّ لشقيت فى دخيلة نفسك وتعذبت لحرمانك من شرف العسكرية ، ولكننا كنا نتغلب على هذا مع الزمن ، ولنعمتُ على الأقل بوجودك معى ، ولسهرت على راحتك . .

الأب : إذن لكنت رجلا لا يغريه شئ بالحياة ، ولا يجذبهُ إليها شئ رجلا يندب الماضى ويتحسر عليه . أكان يرضيك ذلك منى يا حبيبتى . . ؟

الأم : كان لزاماً علىّ أن أرضى بالوضع الجديد طالما أنه لم يكن منه بد .. ولا تنس أنى حتى فى ذلك العهد ، كنت مضطرة إلى أن أقنع بالقليل ، وربما دون القليل .

الأب : أعرف ذلك يا حبيبتى . وإنى شديد الأسف فى الواقع فما أضأل المعاش الذى يصرف لأرملة رائد .

الأم : كان هناك خمسة صبية يا رتشارد . انظر إليهم الآن ، ليس لديك أية فكرة عن معنى هذا ، بالنسبة لأرملة لا نصير لها ولا معين ، لا ، هذا أيضاً أمر لا ينتظر منك أن تفهمه . مغفرة يا حبيبى ، كان أجدر بى ألا أذكر شيئاً عن هذا الموضوع ، ولكنك لا تستطيع إدراك مبلغ ما فى ذلك كله من عنت شديد ، وقلق ممض — الملابس والطعام ومصاريف المدارس ثم ملابس أخرى ، ثم طعام ، ثم مصاريف مدارس . جهاد مستمر ، وكفاح لا هوادة فيه للتغلب على هذه العقبات جميعاً وتذليلها ، أنظر إلى كل قرش مرتين ، قبل أن أدعه يفلت من يدى . ولكن ماذا تستطيع أن تعرف عن ذلك كله . . ؟ طبعاً ليس فيه شئ من البطولة ، ولكنه عمل كان لا مفر من إنجازه ، والاضطلاع به تماماً ، كالواجب الذى كان عليك أن تؤديه يا حبيبى . لماذا تنظر إلى

هكذا . . ؟ أرأيت إلى أى مدى انحدرت بى الحال .

الأب : إنك جميلة يا حبيبتى ، أكثر جمالا من ذى قبل .

الأم : كف عن هذرك ومجونك يا رتشارد ، نحن الأحياء تعدو علينا يد الزمن — بالتغيير والتحويل ، بصورة مرعبة مخيفة . أما أنت فلم يطرأ عليك أى تغيير ، ولا قيد شعره . إنى فى غاية الخجل من شعورى بكبر سنى الآن بالمقارنة إليك . لا تنظر إلىّ ياحبيبى . لقد أرهقنى القلق وطول الكفاح . كم كانت الحياة قاسية بدونك ! . .

الأب : ولكنى يا حبيبتى ، لم أكن لك سنداً يذكر ولا عائلا فيه غنية .

الأم : عندما كنت حياً ، كنت أشعر على الأقل بأننى لست وحدى فى زحمة الحياة ، وقد كنت أشد ما أكون إليك حاجة عندما بدأ الأطفال يشبّون عن الطوق . لا تحمل كلامى على غير مغزاه ، كانوا صبية على خير ما يرام طيبة واستقامة ، أندرو وجورج والتوأمان ، كل واحد منهم كان

يسارع ما وسعه الجهـــد إلى مرضاتى ، ولكنهم كلما ازدادوا نموا كانوا يتكلمون لغة غريبة علىّ فى بعض الأحيـــان ، إنى لا أفهمها كل الفهم يا رتشارد . وأعتقد أن فى مقدورك أن تفهمهم أحسن ممـــا أفهمهم أنا .

الأب : لست على يقين من ذلك يا حبيبتى ، لست على يقين من ذلك . أخشى أن يكون ذلك لغزاً محيرنى أنا أيضاً . . إننى لاأعرف شيئاً إطلاقاً عن الطب ، أو عن الطائرات ، أو عن تلك الميول الخرقاء التى أغرم بها التوأمان .

الأم : أتعنى السياسة ؟

الأب : نعم إنها فوق طاقة علمى يا حبيبتى ، فأنا لم أكن سوى جندى بسيط لا يعرف سوى الشئون العسكرية .

الأم : إن هذا لم يمنعهم من تبجيلك كل التبجيل ، أعرف أنك كنت تريدهم أن ينخرطوا فى سلك العسكرية . ولكن عندما قلتَ قررتُ أنا خلاف ذلك . إننى أعلم أنه كان فى مقدورى أن أعلمهم فى الأكاديمية

الحربية بدون مقابل ، ولكننى فضلت أن أخرج إلى معترك الحياة ، وأعمل ليتسنى لى الإنفـاق على تعليمهم فى الكليات الأخرى ، كنت أريدهم أن يدرسوا الطب أو الهندسة ، أو أى شئ آخر ماعدا العسكرية . كنت أريدهم أن يعملوا شيئاً نافعاً ، شيئاً يستطيعون عمله ، دون أن يقتلوا أثناء مزاولته . حبذا لو علمتَ مدى التضحيات التى قمت بها ؛ لأمهد لهم سبيل التعليم فى المـدارس الملائمة . وها أنت تستطيع أن ترى بنفسك اليوم مبلغ ما وصلوا إليه .

الأب : أعتقد يا حبيبتى ؛ أن من حقك أن تفخرى بهم كل الفخر ، أوليست كذلك . . ؟

الأم : الواقع أننى لست على يقين من ذلك ، بل أشعر كأننى دجاجة فقست نسوراً ، ثم أعودُ فأقنع نفسى أحياناً بألاّ أكون ضيقة الأفق ، وألاّ أقف حجر عثرة فى سبيل ميولهم . إنه لمروع حقاً يارتشارد ، كيف تتغير طبيعة المرأة عند ما تصبح أماً ، مضى الزمن الذى كان يحلو لى فيه أن

أن أتوهم الأوهام ، وأشعر فيـــه بالتيه والخيلاء . ألست تذكر ذلك يارتشارد . . ؟

الأب : بلى يا حبيبتى ..

الأم : أتذكر كيف هربت من بيت أهلى لأكون معك ؟ لقد كنت على أتم استعداد يومئذ لأن أضحى بحياتى لو أنك طلبت ذلك منى — أما اليوم ، فكل ما يعنينى هو أن أحرص على البقية الباقية منها لنفسى ، حرص الشحيح . لقد أعطيت ما فيه الكفاية ، أنت أولا ، ثم أندرو . لا يمكن أن ينتظر منى أن أعطى أكثر من هذا — لقد دفعت ثمناً باهظاً جداً فى سبيل ما يسمى بطولة ، نت أولا ثم أندرو .

الأب : لا عليك يا حبيبتى ، لقد مات أندرو ميتة عظيمة .. ميتة عظيمة ومشرفة معا .

الأم : أعلم ذلك . أعلم أن ميتته كانت مشرفة ، إنك تحسب أنه شرف عظيم جداً أن يموت الإنسان فى سبيل أمر ما . ولكنه لم يخطر لك ببال أنك حينما تموت تترك وراءك بعض ذويك . ربما لم يكن لك مفر يارتشارد من القتل ، لأنك كنت جنديا بحكم عملك .

ولكن لم يكن ذلك ضروريا بالنسبة لأندرو ... أندرو كان طبيباً .. رجل بحوث معملية ، وكان من المحتمل جدا أن يكون اليوم دائبا على مواصلة بحوثه فى أحد المعامل أو المصحات ، لم يكن حتما عليه أن يعرض نفسه لالتقاط عدوى وباء قتال ..

الأب : إن جميع الأطباء يكونون فى بعض الأحيان عرضة لانتقال العدوى إليهم يا حبيبتى . ولقد مات أحد أطباء كتيبتنا بهذه الطريقة. كان رجلا لين الجانب لطيف المعشر ، وكثيراً ما كنت ألاعبه الشطرنج ، ولكن تصورى يا عزيزتى : انتقلت إليه فجأة جراثيم الكوليرا ففتكت به ..

الأم : ولكن لم يكن حتما على أندرو أن يتطوع للخدمة فى المستعمرات . إنك أنت المسئول عن ذلك ...

الأب : على رسلك يا حبيبتى ، كيف يكون ذلك وقد حدث بعد موتى بسنوات عديدة ...

الأم : هذا لا يغير شيئا من الأمر ، لقد جذبته نحوك إلى هذه الغرفة ، وملكت عليه سبيله

هنا فى هذه الغرفة ، كان أندرو يستذكر دروسه على الدوام ، هنا كان يطالع كتبه ، كان يذرع أرضها جيئة وذهابا ساعات طويلة متواصلة وهو يدخن ، وكان هنا فى هذه الغرفة ، حينما أذهلنى فجأة بقوله . إننى سأقوم برحلة إلى المناطق الحارة ياأمى . أريد أن أرى شيئا من العالم . لم يذكرلى يومئذ أنه ذاهب لمقاومة الحمى الصفراء ، إنكم دائما تكتمونى حقيقة ما تنتوون . يقول أحدكم إننى ذاهب إلى رحلة قصيرة يا أمى ، ثم أنتم لاتعودون . رحل أندرو عنى كما يتسلل اللص تحت ستار الليل .

[يخطو أندرو من ركن مظلم مقتربا منهما ، وهو يرتدى مريلة بيضاء من ذلك النوع الذى يرتديه الأطباء]

أندرو : ولكننى قد شرحت لك الأسباب يا والدتى مراراً وتكراراً ، فقد كان كل همى ألا تقلقى ولا ينشغل بالك ، لذلك لم أقل لك شيئاً ، هذا كل ما فى الأمر .

الأم : أهذا ما تسميه شرح الأسباب ؟ أعلم أنك استندت إلى ذلك فى تصرفك ، ولكن الذى

لم يخطر لك ببال هو أن العدوى ربما انتقلت إليك هناك . على أنى ما كنت لأنسى لك هذا يا أندرو ، وهى الحقيقة .

أندرو : وأى شىء كان يفيدك هذا يا أماه . . ؟ إننى كنت قد استقر رأيى على الذهاب على أى حال من الأحوال .

الأم : إنك كنت يا أندرو ابناً باراً ، رزيناً ، عاقلا . ولولاك لخانتنى الجلد فى معظم الأحيان ، فقد كنت بمثابة أب ثان للأولاد الآخرين . وكان لك شعور طيب بالمسئولية ، تقدرها حق قدرها . وإذا بك فجأة تذهب إلى المناطق الحارة وتموت هناك بالحمى الصفراء . ما كان أغناك عن هذا ، لا تقل لى إنه لم يكن من ذهابك بد .

الأب : أما علمت يا حبيبتى ، أن للطبيب واجبات هو أيضاً لابد له من الاضطلاع بها . إن ذلك من صميم عمله . أليس كذلك يا أندرو ؟ .

الأم : لماذا اخترت مكافحة الحمى الصفراء على أى شىء آخر ؟ لقد كان فى وسعك أن

تبقى بوطنك ، تعالج المرضى فيه ، أو تخرج المواليد إلى نور الحياة الدنيا .

أندرو : أما علمت يا أماه ، أن مئات الألوف من البشر يموتون كل عام بالحمى الصفراء . وإنها لوصمة فى جبين الطب ، إذا عجز رجاله عن مقاومتها واكتشاف العلاج الناجع لها ، إنه الواجب يا أمى لا أكثر ولا أقل .

الأم : واجبك أنت ؟

أندرو : واجب العلم ، أما علمت أنه كان وباء فتاكاً ؟ إنك لو رأيت الناس وهم يموتون هناك لكنت أول من يقول « أندرو إنك لا تستطيع أن تتركهم يموتون على هذه الحالة . إنه موضوع معقد شائك ياأماه . ولم يكن بد من ذهاب بعض الناس إلى هناك .

الأم : ولكن هل كان ذهابك أنت بالذات أمراً لا مفر منه ؟ إنك لا تستطيع أبداً إقناعى بصحة هذه الدعوى يا أندرو .

الأب : لم لا . . ؟ إن له عقلا راجحا فيما أعتقد . إن أكثر الناس ذكاء وتفوقاً يا حبيبتى ، هم الذين عليهم أن يضطلعوا بمثل هذه الأمور .

الأم : وهل أكثر الناس ذكاء وتفوقا هم الذين يفرض عليهم أن يموتوا لذكائهم وتفوقهم .

الأب : بلى ، ليس ثمة مفر من ذلك ياحبيبتى ، إن خير الناس وأقدرهم هم الذين يتقدمون الصفوف دائماً أبدا . لاتدع هذا الأمر يقلق بالك يا أندرو ، فقد سلكت خير مسلك يابنى .

الأم : طبعاً أنتم أيها الرجال دائما تتحيزون بعضكم لبعض ضدى . من السهل عليك أن تقول بأنه قد تصرف تصرفاً سليما ، ولكن لو أنك علمت كيف كان شعورى عند وصول تلك البرقية . لقد ذهلت من هول المفاجأة إلى حد التبس معه علىّ معنى ماجاء بها « ابنك مات بطلا فى سبيل قضية العلم » .

الأب : ها أنت ترين بنفسك ياعزيزتى ، قالت البرقية « إنه مات بطلا ، أو لم تقل ذلك؟ »

أندرو : لا عليك من هذا يا أبى ، إنه أمر لا أهمية له إطلاقاً . لقد كان كل همى أن أكتشف منشأ الحمى الصفراء . فمهمة العالم كما تعلم هى فى البحث عن سبب الداء ، هذا كل

ما كان يهمني معرفته ، أما فيما يتعلق بالبطولة فهو من لغو الكلام وفضوله ؛ فكل اكتشاف مهما يكن من ضآلته أمر له قيمته وأهميته .

الأم : وهل اكتشفت شيئاً ؟

أندرو : لا يا أمي ولكن ، غيري اكتشف . رجلان سويدي وأمريكي .

الأب : يسوؤني سماع هذا . أنا لا أحب الأمريكيين

الأم : ولكن ألم يكن هذا كله عديم الجدوى يا أندرو ؟ ألم يكن شيئاً غير ضروري .. ؟

أندرو : لا يا أمي أنت لاتفهمين الأمر على حقيقته .

الأم : لا ، لست فاهمة . أظن أنني لم أفهمك أبدا . إنني دائما .. أسمع هذا العبارة منكم ، من جورج ومن التوأمين ، أنت لا تفهمين يا ماما .. لا ، أنا لا أفهم .. أنا لا أفهم .. يا الله ، سوف لا أستطيع أن أفهم نفسي عما قريب . ها أنتم جميعا أولادي ، من لحمي ودمي ، لا تفتأون تقولون لي إنني لا أفهمكم ترى ماذا بكم من غـــرابة أو خصاصية يستعصي علي فهمها .. ؟

اندرو : [يقترب منها] لا تنفعلي يا أماه ! هدئي من

روعك ، فقلبك ضعيف ، وقد يعود عليك الانفعال ببعض الضرر .

الأم : لا ، دعنى أقل كلمتى . لقد كنت أفهمكم كل الفهم وأنتم صغار ، أتذكر يا أندرو حينما كان يجرح أحدكم وأنتم تلعبون خارج المنزل ، كيف كنت أعلم كل شئ عما أصابه ، وأهرع إليه بكل ما فى وسعى من سرعة ؟ وحينما كنتم تجلسون جميعاً حول المائدة ، كيف كان يغشانى شعور جسمانى كنت أقول لنفسى ، هؤلاء الأطفال جزء من كيانى ، إنهم أنا . والآن ، كل ما أسمعه منكم ، هو أنك لا تفهمين ياماما .. وتشارد ، ماهذا الشئ الغريب الذى تسرب إلى أعماق هؤلاء الأطفال وغيّر من شعورهم وجعلهم حزباً على .

الأب : لم هذه الأفكار يا حبيبتى ؟ كل ما هنالك أنهم قد شبوا الآن وترعرعوا ، وأصبحت لهم مصالح وشئون خاصة بهم أليس كذلك ؟.

الأم : ولكن أنا ، لم تكن لى أبداً مصالح سوى مصالحهم . إنكم أصبحتم جميعاً قد انطويتم على أنفسكم ، وانصرفتم إلى أغراضكم الخاصة ،

فلم يعد لكم اهتمام بسوى أنفسكم وبسوى مطامحكم المثالية التى تفترضون أننى عاجزة عن تفهمها على الوجه الصحيح ، ولكننى أنا ، لم تنطو نفسى سوى على مصالحكم ولا كنت أعنى بغيركم . أعرف أن ذلك لم يكن مدعاة للزهو والفخر ، كل ما هنالك أننى كنت مشغولة ، بهم حانية عليهم ، محبة لهم . وحينما كنت أعد لكم أنتم الخمسة الأطفال ، وجبة من وجبات الطعام ، كنت أشعر كما لو أننى أقوم بواجب دينى مقدس ، أندرو .. أندرو إنه لا علم لك ولا فكرة ، بما أعانيه من المرارة والضيق لموتك .

أندرو : إنى آسف جداً يا أماه . .

الأم : بل لعلك على حق . أظننى لم أحسن الفهم أبداً — فمثلا أبوك قتل ؛ لأن الرأى كان قد استقر على ذبح طائفة من المتوحشين . وأنت قضيت نحبك ؛ لأنك أردت إنقاذ حياتهم ، أجل ، لعل عقليتى أقصر من أن تتبين وجه الصواب فى هذا . كل واحد يفعل عكس الآخر تماماً ، ثم يقال لى

إن كلا منهما له أهداف سامية ومطامح عالية لايدركها فهمى . أحدكما يبنى صرحاً والآخر يهدمه . وبعد ذلك تقولان إن هذه يا أماه أعمال مجيدة هامة ، لابد لنا من القيام بها ولو دفعنا الحياة ثمناً لها . إن من السهل عليكما أن تتكلما بهذه الصورة ، إن الموت سهل أمره ما فى ذلك شك ، ولكن فقدان زوج وابن — لو أن ذلك حدث لكما لعلمتما ما ليس لكما به علم .

أندرو : لعلك على صواب فى هذا يا أماه .

الأم : ماذا يهمنى من الصواب وعدمه إذا لم أستطع أن أستعيدك إلى . ما كان ينبغى لك أن تموت يا أندرو . إنك كنت ولداً باراً رحيم القلب مفكراً ، وكنت على وشك الزواج أيضاً ، كان ينبغى لك أن تتزوج — لعل ذلك شئ أحسن فهمه يا أندرو ؟

أندرو : أجل يا أماه ..

[يسمع صوت طلقين ناريين آتيين من الحديقة]

الأب : [يرفع رأسه] ما هذا .. ؟

الأم : لاشيء ذاأهمية، إنهما يطلقان النار على هدف. إنهما التوأمان كرستوفر وبيتر .

الأب : عظيم جداً . إن المرء الذى لا يحسن الرماية لافائدة منه إطلاقاً .

الأم : لن أسمح لتونى بممارسة الرماية يا رتشارد إنه لايصلح لها بطبعه ، كذلك أندرو لم يكن شغوفاً هو أيضاً بالرماية ، أكنت كذلك يا أندرو ؟ لقد كنت دائماً مكباً على القراءة مثل تونى تماماً .

أندرو : أجل ، إلا أن القراءة بالنسبة لتونى كالخدر يا أمى ، فهو يتلاشى فيها بشعوره ، حتى ما يكاد يحس شيئا مما يحيط به ، وهو أمر مضر كل الضرر .

الأم : أوه ... ولكنه مايزال طفلا بعد .

أندرو : أجل ، هذا ما تقوليه عنه دائماً .

الأم : هذا لأنه ضعيف البنية .

الأب : الأوفق أن تشجعيه على أن يمارس شيئاً يكون له منه بعض النفع .

الأم : لن أفعل ، لن أسمح لتونى وهو فى هذه السن الصغيرة أن يملأ رأسه بمثل نظرياتكم وأفكاركم . بل لن أسمح له بدخول هذه الغرفة بعد الآن

الأب : ولِمَ لا؟

الأم : لأنك سوف يكون كل همك أن تخضعه لسيطرتك ، تبدأ بالهمس فى أذنه . كن رجلا يابنى . كن رجلا . اعمل عملا مجيداً يليق بك ، ضح بحياتك فى سبيل الشهرة والشرف . ضح بها فى سبيل قضية الحق — لا . لن أسمح بذلك ، أسامع أنت ... ؟ اترك تونى وشأنه ..

الأب : ولكن ياحبيبتى ، يقيناً أنك لاتريدين أن يصبح تونى مدللا خانعا .

الأم : إننى أريده لنفسى ، ليس لك عليه حق أو سلطان ، تونى ولد بعد موتك ، إن تونى ولدى أنا وحدى ، ليس لى فيه شريك ولن أسمح له ابتداء من هذه اللحظة بدخول هذه الحجرة .

أندرو : يبدو لى أن أمى تعتقد بأننا رفقة سوء لتونى

الأم : بلى ... بلى إنه لكذلك . لأنكم فى عداد الأموات [صوت أمير : نارية فى الحديقة]

أندرو : أخائفة أنت منّا يا أماه ..؟

الأم : لماذا أخافكم يا ولدى العزيز .. ؟ اقترب منى يا أندرو ، دعنى أراك ، ليس لديك أية فكرة عن مبلغ لياقتك ، وأنت فى هذه

المريلة البيضاء ، لقد كنت آمل أن أراك إلى جانبى يوماً من الأيام عنـــدما تحين ساعتى ، ويأتى دورى للتزود من أولادى بالنظرة الأخيرة ..

أندرو : لا يا أمى ، لاتقولى هـــذا الكلام فسوف تظلين هنا أمداً مديداً ، سوف تبقين هنا على الدوام ، إنك تعلمين ذلك حق العلم .

الأب : أملك أقوى بنية مما تتصور [يسير نحو المائدة التى عليها رقعة الشطرنج] من كان يلعب هنا ياحبيبتى

الأم : التوأمان ، قالا إنهما يعالجان إحـــدى مسائلك المعضلة .

الأب : نعم ، أعرف أى مسألة هى ، أذكـــر شروعى فى حلها . مسألة ممتعة للغاية .

الأم : لقد تشاجرا بشأنها . كان كرستوفر يريد من پيتر أن يتحرك إلى مربع د٦ .

الأب : بالضبط ، هذا ما كنت أفعل أنا على كل حال .

الأم : ولكن پيتر قال إن للمسألة حلا آخر ، أنت تعرف كيف أن هذين التـــوأمين لا يكفان أبداً عن الجدل والنزاع .

الأب : [شارد الفكر] حل آخر ؟ وددت لو عرفت ما هو ، لعل أبناء الجيل الحاضر يلعبون

الشطرنج اليوم بطريقة مختلفة . ترى لو حرك البيدق إلى الأمام . مدهش يجب أن أنظر فى هـذا الاحتمال . قد يكون فيما ذهب إليه بيتر شئ من الصواب .

[يدخل جورج من الباب فى منتهى الحذر والسكون مرتدياً زى طيار]

جورج : أسعدت مساء يا أمى ، كيف حالك يا أبى؟ أهلا بك يا أندرو .

الأب : [مستديراً نحوه] تبارك الله . إنه جورج ..

أندرو : كيف حالك ياجورج ؟

الأم : لماذا عدت بهذه السرعة ، أكنت تطير اليوم يا جورج . . ؟

جورج : أجل يا أمى ، والحق أن الجو كان ملائماً كل الملاءمة اليوم للطيران .

الأم : إننى سعيدة بعودتك إلى البيت ، إننى لا أحب انصرافك إلى هذا الطيران ، إننى أخشى عليك منه ، ولكن حمداً لله على عودتك السريعة . .

جورج : بديهى أن أعود إليك مباشرة يا أمى .

الأب : حسناً فعلت يابنى ، هذا عين الصواب ،

إننى معجب بزيك الجوى ، فهو ملائم لك كل الملاءمة .

الأم : [وهى تنهض واقفة فى اضطراب ووجل] على رسلك يا جورج ، أأنت ترى أباك وأندرو ..

جورج : طبعاً أراهما يا أمى .

الأم : ولكنهما ميتان يا جورج ، كيف تستطيع أنت أن تراهما . . ؟ كيف تستطيع أنت أن تتحدث إليهما يا جورج . ؟

جورج : بلى . إن الذى حدث يا أمى ، ولكن لا تغضبى علىّ ، كل ما فى الأمر أن الطائرة أصيبت بخلل .

الأم : أتعنى أنه قد وقع لك حادث . . ؟

جورج : لم أشعر بألم البتة يا أمى . انبتر جنـــاح الطائرة و . . .

الأم : إنك تخفى عنى أمراً يا جورج .

جورج : لا تغضبى يا أمى . ولكننى هلكت

الأم : أنت ! .. أنت !

جورج : أرجوك يا « ماما » ، لا تكدرى خاطرك .

الأم : إذن . أنت ميت يا جورج

جورج : نعم يا أمى ، أنا ما يسمونه ميتاً

الأم : [وهى تئن] آه يا ربى ، جورج ولدى الصغير الحبيب .

أندرو : تمالكى روعك يا أماه . لا تكدرى نفسك .

الأم : هأنذا يا جورج قد ذهبت لمقتلك . لقد فقدتك .

الأب : يجب أن تتحملى المصاب بشجاعة . وإن من دواعى الرضا والفخر أنه مات ميتة الأبطال ، ميتة رائعة مشرفة .

الأم : [وكأنها قد استحالت حجراً] ميتة رائعة ! هأنذا تنطلق من جديد يا رتشارد . .

جورج : الواقع يا أمى ، أن ما حدث لم يكن غلطة أحد من الناس . كنت أحاول عملية عسيرة بعض العسر عندما طرأ الخلل على الطائرة . والحق أننى أنا نفسى لا أعرف كيف وقع الحادث ولا سبب وقوعه .

الأم : آه يا ولدى .

[تفرق فى فوتيل وتأخذ فى البكاء]

أندرو : دعوا أمنا تستنزف عبرتها . سوف تشعر

بشيء من الراحة بعد ذلك [يظل واقفاً إلى جانبها]

الأب : [مالا بجورج إلى ناحية] ما نوع المحاولة التى كنت تقوم بها يا جورج ..؟

جورج : ضرب الرقم القياسى للارتفاع يا أبى بشحنة زنتها ألف وخمسمائة كيلوجرام .

الأب : وهل للأرقام القياسية فى مثل هذه المحاولة قيمة ذات خطر . . ؟

جورج : نعم يا أبتِ ! فمعنى هذا أنك تستطيع فى زمن الحرب أن تحلق فى الجو إلى أقصى ما يمكن من الارتفاع بأثقل شحنة ممكنة من القنابل .

الأب : فهمت ، هذا أمر له قيمته وخطره فعلا .

جورج : أو استخدام الطائرات للنقل الجوى ، إذ أنك عندما تحلق على هذا الارتفاع تكون بمأمن من الزوابع والسحب ، وهو أمر على جانب كبير جداً من الأهمية والمنفعة .

الأب : وإلى أى مدى ارتفعت ؟

جورج : إلى أكثر من ستين ألف قدم بقليل ، وعندئذ بدأت الطائرة تعجز عن مواصلة الارتفاع .

الأب : أهذا رقم قياسى ؟

جورج : نعم يا أبتِ . إنه يعتبر رقما قياسياً عالمياً فى مثل هذه الظروف .

الأب : هذا عظيم يابنى . إننى مغتبط كل الاغتباط .

جورج : إلا أننى حينما سقطت تحطم كل شئ ، وأخشى ما أخشاه أن مقياس الارتفاع قد تحطم أيضاً وهو أمر يؤسف له .

الأب : لماذا ؟

جورج : لأنه لن يتيسر لأحد معرفة حقيقة مدى الارتفاع الذى وصلت إليه .

الأب : لا أهمية لهذا . وإنما الذى يهم هو أنك وصلت إلى هذا الارتفاع .

جورج : وأى فائدة فى هذا إذا خفى أمره عن الناس .

الأب : ولكنك حققت هذه الغاية بالفعل ، وهذا هو أهم ما فى الموضوع . من كان ينتظر منك مثل هذا العمل المجيد ؟ أنت الذى طالما كنت دائماً أبداً شغوفاً بالألعاب الصغيرة ، من حقك على يابنى أن أهنئك .

الأم : [تناوه نادبة] آه ! يا جورج ، ياولدى الصغير الحبيب .

الأب : كفاك نواحا يا حبيبتى — لقد كان عملا مجيداً يستحق المجازفة . فكفى عن البكاء وفكرى فى أمر الجنازة ، وما فيهـا من مضايقات .

جورج : لا يجب أن تنظرى إلى ، حينما يأتون بى إلى هنا ، فالذى يأتون به إلى البيت لن يكون شخصى . إننى هنا وسأكون دائماً كما كنت وكما عرفتنى ، ولن ترينى على غير الصورة التى عرفتنى بها على الدوام يا أمى ، أليس كذلك ؟

الأم : لِمَ لم تخبرنى بأنك كنت تنوى أن تحلق إلى هذا الارتفاع الشاهق ؟ لو علمت لما تركتك تذهب .

جورج : لم يكن بد من الذهاب يا أماه . لذلك لم أحاول أن أخبرك .

الأم : ما أعجب الفكرة التى تسلطت على عقلك . لأى شئ كنت تريد ضرب الرقم القياسى هذا . ؟

جورج : عند ما يكون للإنسان مثل هذه الطائرة

الفريدة الفذة ، تعين عليه أن يستعملها على هـذا النحو يا أمى . ولكن أنت لا تفهمين هذا . فالإنسان يستطيع أن يخدم نفسه ومصالحه ....

[يسمع دق على الباب]

الأب : [يطفئ المصباح الموضوع تحت سيورته فيقل الضوء فى الغرفة] تمالكى أعصابك ، واستعيدى هدوءك يا حبيبتى .

الأم : ولدى جورج . ما كان أطيبه ولداً . لماذا — لماذا — ؟

[يتكرر الطرق على الباب]

أندرو : [هامساً] احتفظى بهدوئك يا أماه . يجب أن تكونى قوية رزينة .

الأب : [هامساً] إلى اللقاء يا حبيبتى [يستمر الطرق]

الأم : [لامعة] ادخل

[يظهر كرستوفر فى مدخل الباب ، الذى يغمره ضوء النهار]

كرستوفر : عفواً يا أماه . كان بودى ألا أزعجك . ولكن ثمة أمراً لابد من أن أفضى إليك به .

الأم : نعم — ما هو ؟

كرستوفر : سمعنا الأنباء من لحظة قصيرة . أصيب

چورج فى حادث طيران . ولكن لاتنزعجى
يا أمى . ليس الحادث بالأمر الخطير . .

الأم : ثم ماذا ؟

كرستوفر : إن چورج .... ولكن أعتقد يا أمى أنك
قد علمت بالنبأ .

يسدل الستار

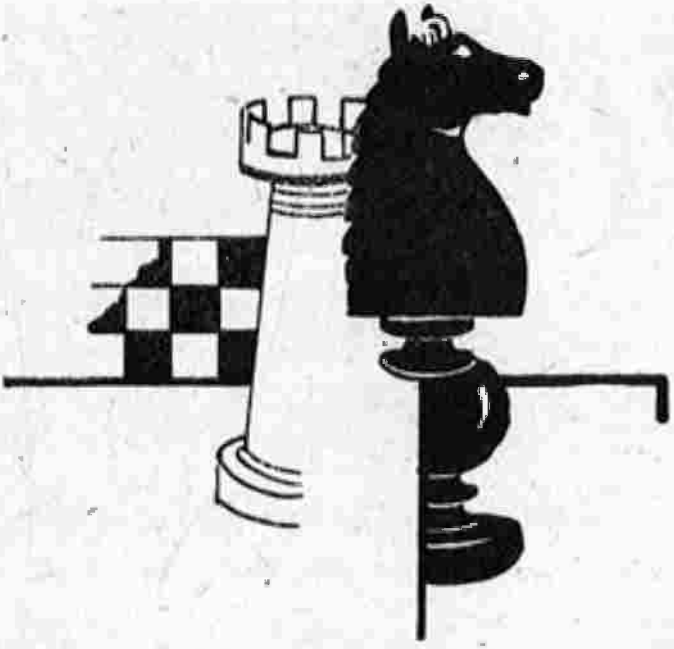

الفصل الثالث

[الحجرة عينها بإضافة جهاز الراديو]

توفى : [راكع إلى جانب الراديو يدير مفتاحه . يسمع مارش عسكرى . توفى يبدى علامات اشمئزاز لدى سماعه ، ويواصل إدارة المفتاح . ويسمع صوت مذيع يعلن . . .]

صوت المذيع : لدى خبر هام أعلنه عليكم .

توفى : هذا صوت ياكرستوفر . إنه أشبه مايكون بصوته

صوت المذيع : على جميع المواطنين أن يعملوا على صيانة الأمن والنظام . ونحذرهم تحذيراً شديداً من التجمهر فى الطرقات العامة ، وإلا أخذهم الشرطة والسلطات العسكرية بمنتهى الصرامة .

[يواصل تحريك مفتاح الراديو . يسمع صوت موسيقى هادئة آت من بعيد ، يركع توفى على ركبته مستمعاً ومتابعاً الصوت بتوقيع رتيب من يده]

[يدخل كرستوفر فى زى شبه عسكرى ، حذاءان طويلان من أحذية الفرسان ، ويمتطون ركوب الخيل وجاكتة مزينة بالشارات]

كرستوفر : اقفل هذا الراديو يا تونى — إنك تعلم جيداً أن أمنا لا تحب أن يستعمله أحد منا ، لأنه يذكرها بجورج .

تونى : استمع لحظة يا كرستوفر — أليس هذا بديعاً ؟

كرستوفر : بلى ، ولكن ليس الوقت وقت سماع مثل هذه الأشياء. اقفل الراديو .إننى لا أحتمل صوته .

تونى : [يقفل صمام الراديو ويستمر راكعاً] آسف . إنها كانت محطة أجنبية ، لست أدرى أيها كانت، يخيل إلى أنها فى اسكندناوه . فقد كان للصوت صدى جليدى .

كرستوفر : أوه . كف عن هذرك . إنك دائماً تتخيل شيئاً أو آخر . [يشعل سيجارة ويدرع الحجرة جيئة وذهاباً فى اضطراب ظاهر]
ما أسوأ أن أضطر إلى البقاء هنا كالسجين . [ينظر فى ساعة معصمه] سوف ينصرف العمال من مصانعهم وشيكاً فى أى لحظة الآن ... قد تقع بعض الأحداث . يا لله ، كم وددت لو أننى وسط المعمعة . [يقف بجانب النافذة يرهف السمع] .

تونى : استمع لى ياكرس

كرستوفر : ماذا تريد ؟

تونى : ماذا حدث لبيتر ؟

كرستوفر : لا أدرى . لقد قبض عليه . ما كان ينبغى له أن يتدخل

تونى : ولكنك أنت تدخلت ياكرس

كرستوفر : أجل ، ولكن إلى جانب الفريق الآخر . وهذا هو الفارق الكبير .

تونى : كيف ذلك ؟

كرستوفر : إن فريقنا يمثل القانون والنظـــام وصالح الوطن . ولكنك حدث السن ، لا تستطيع فهم هذه الأمور يا تونى . ولك أن تحمدالله على ذلك ، فإنه من حسن حظك .

تونى : كان بيتر يكافح من أجل مصلحة الوطن أيضاً . ولكن ذلك لم يمنعهم من إلقـــاء القبض عليه .

كرستوفر : لأن نظرياته عن مصلحة الوطن كانت خاطئة من أساسها . لقـــد توهم أن فى الاستطاعة أن تحكمنا حفنة من السوقة الأنذال . ماذايكون مصيرنا لو تمكن ماأرادوا؟ لقـــد كشفوا عن حقيقة نواياهم ومبلغ

كفاءتهم ، بما أتوه من إسراف فى النهب والسلب والانتقام بدافع الحزازات القديمة .

[يسحق سيجارته بين أصابعه]

لو تم لهم ماأرادوا، لانهار بناء الوطن، وتقوضت معالمه يا توفى .

توفى : ولكن پيتر تصرف بحزم ، ووضع حداً للنهب والسلب .

كرستوفر : هذا منتهى الغباء . لقد كان يرجو أن يؤلف حكومة من هؤلاء الرعاع الأجلاف. تدير دفة الأمور فى البلد لا ! لا نستطيع أن نسمح بهذا أبداً .

توفى : من تعنى بنحن ؟

كرستوفر : فريقنا ، نحن ، الأمة . فلو أن تلك الفئة قبضت على أعنة الحكم بعقليتها المريضة ونظرياتها السقيمة عن السلام والتصالح السلمى والمساواة ، لانهار بناء الوطن يا بنى. أف لهم . إن كل ما يسعون إليه هو خيانة صريحة للأمة . إنهم يريدون تسريح الجيش ، والسيطرة على جهاز الحكم والإدارة ، واغتصاب المصانع وانتزاعها من أصحابها — لا شىء أقل من هذا . أليس فى هذا القضاء المبرم على كل ما نعتز

به فى الحياة ؟ لا يا پيتر ، يا عزيزى ، نحن لن نسمح لبناء الوطن أن ينهار ، وأن تتقوض معالمه على هذه الصورة . لقد آن الأوان لأخذ أولئك المتشدقين بالعبارات الرنانة الجوفاء ، هذه الخراريج المتقيحة بما يستحقون من عقاب . ولكن ما لى أسترسل معك يا تونى فى الوعظ والإرشاد .

تونى : [ينهض واقفاً] . استمع لى يا كرس

كرستوفر : ماذا استمع لك ؟

تونى : ماذا سيحدث لپيتر ؟

كرستوفر : [يز كتفيه] ليس ثمة ما نستطيع أن نعمله من أجله . وليس أمامنا الآن سوى أن ننتظر ، لقد قبض عليه رجالنا ، وهو فى الوقت الحاضر معتقل .

تونى : كمجرم ؟

كرستوفر : كرهينة ، ولكن لا تقلق لذلك ، فلن يصيبه أى سوء هناك . أما إذا عاد الحمر إلى إطلاق النار فى الشوارع ، فلن أكون مسئولا عن النتائج .

تونى : أيقتلون پيتر رمياً بالرصاص فى هذه الحال ؟

كرستوفر : أنا شخصياً . ما كنت لأفعل هذا .

ولكنك تعلم يا توني أن الحرب هي الحرب ، كان يجب على پيتر ألاّ يدخل في شيء من أمر هؤلاء القوم ، ولا حاجة بي إلى أن أقول لك بأن أي سوء يحدث لپيتر سوف يحزنني غاية الحزن . فلو أن هؤلاء الصعاليك وضعوا السلاح لأطلق رجالنا سراح پيتر ومن معه من الرهائن . هذا هو الموقف في الوقت الحالي .

توني : [بعينين غائمتين] تصور يا كرس ، تصور كيف يكون شعور پيتر . كيف تظل عيناه شاخصتين نحو الباب مترقباً فتحه في أية لحظة . — قم معنا — إلى أين ؟ قم ، عجل ولا تسأل ، فسوف ترى .

كرستوفر : على رسلك لحظة [ينصت] مامن صوت يسمع . من حسن الحظ أن إطلاق النيران قد توقف . لو أطلقت رصاصة واحدة لساءت الأمور يا توني . إنهم لن يجدوا حينئذ من فريقنا أي أثر للشفقة أو الرحمة . إن الحمر أنذال جبناء ، ويبدو لي أنهم تقهقروا ، وأيا كان الأمر فسوف يعرف پيتر أي نوع من الرجال أولئك الذين

سمح لنفسه أن يربط مصيره بمصيرهم .
ادفع أمامهم مندفعاً وشاشا ، وسوف ترى
كيف يطلقون سيقانهم للريح كالأرانب .
أتسمع شيئاً ؟ ليس ثمة صوت إطلاقاً .
معنى هذا فيما أظن أن الفريقين قد تهادنا
وأنهما توصلا إلى اتفاق فيما بينهما ، ولكن
قتلنى الله إذا أنا استطعت أن أفهم كيف
يمكن لأحد كائناً من كان ، أن يهادن
مثل أولئك الأجلاف ؟

تونى : كرس ، أيوثقون يدى الإنسان ؟

كرستوفر : من ؟ متى ؟

تونى : عندما يسوقونه إلى ساحة الإعدام

كرستوفر : طبعاً . المنطق يقضى بأن يوثق جيداً منعاً
للحركة ، ولكن لم تسأل ؟

تونى : [يضع يديه وراء ظهره كما لو كانتا مشدودتين إحداهما
إلى الأخرى] أتدرى؟ إننى أكاد أتخيل كيف
يكون شعور من يواجه الفرقة المكلفة
بإطلاق الرصاص عليه . فهو يحاول أن
يستشف ما وراءهم من فوق رءوسهم ،
ثم لا يلبث أن يشعر كما لو أن ريحا باردة
تسرى فى فروة رأسه . لم يحن الوقت بعد .

دقيقة أخرى — نار . يا لله !

كرستوفر : صه .

تونى : [بصرخ] أيهـا الأوغاد ، أيها الأوغاد الملاعين .

[يترنح ثم يسقط على ركبتيه]

كرستوفر : [يمسك بكتفيه ويهزه] كفاك تمثيلا . تونى إن لك خيالا مريضاً .

تونى : [يحجب عينيه بيديه وينهض واقفاً] كرس ، كيف يمكن أن يكره الإنسان أخاه الإنسان إلى هذا الحد ؟

كرستوفر : إنك أصغر سنا من أن تفهم ذلك . أنت لم تتعلم بعد معنى الثبات على المبدأ ، والمكافحة فى سبيل إعلاء كلمته حتى الموت ، وأن تبذل من أجله مالا تفكر أبداً فى بذله من أجل نفسك . إن العلة فيك ياتونى ، هى أنك شديد الحساسية . وما ذلك إلا لأن أمنا تدللك أكثر مما يجب ومما يصلح لك .

تونى : كيف ذلك ؟

كرستوفر : لأنها تنشئك نشأة غير سليمة . وإذا هى استمرت على هذه الحال ، فلن تبلغ من صفات الرجولة ما يؤهلك للنضال فى

سبيل شئ أبداً . صحيح إن السلام والإخاء العالمى ، وما إلى ذلك كله مبادئ جميلة جداً . أعرف ذلك كل المعرفة . ولكن عصرنا لا متسع فيه لمثل هذا النمط من الكلام يا تونى . فأمامنا اليوم ما هو أكبر وأعظم من هذا ، إذ علينا أن نكون دائماً على أتم استعداد لمواجهة كل ما قد يدهمنا مما لم يكن فى الحسبان . فإذا ما حدث شئ لبيتر ، فلا ينبغى لأمنا أن تعرف عنه شيئاً . بل يكفى أن تقول لها إنه مقبوض عليه . أفهمت ؟ الظاهر أنهم قد تقهقروا حقاً ، على ما يبدو لى على الأقل . لعل أولئك الحمر الملاعين قد استسلموا ، وهذا هو سبب هذا الهدوء الخير . عليك أن تبقى هنا ، ولاتبرح مكانك يا تونى .

تونى : وماذا عنك أنت ؟

كرستوفر : [هازاً كتفيه] من واجبى أن أكون هناك مع زملائى . كل ما أتمناه على الله أن أكون موجوداً معهم ، إذا تجددت المعركة . ما أشد ما يعترينى من السأم لبقائى سجيناً فى البيت هكذا . ولكن ما حيلتى . وأنت

تعلم أن أمنا مصابة بضعف فى قلبها ، فلو أفلت الزمام من أيدينا لكانت العاقبة وبالا علينا . ولا يعلم إلا الله إلى أى مدى قد يذهب هؤلاء الطغام فى الفوضى والتخريب ، لذلك لم يكن بد من أن يبقى أحدنا بالمنزل لحمايتكم والدفاع عنكم . [يتناول مسدساً من أحد الأدراج ، وهو مولى ظهره ، لتوفى فيحشوه بالرصاص ثم يعيده إلى الدرج] إنى أعلم فى أى مكان كان يجب أن أكون ؟ ولكن لا ينبغى لأمنا أن تعلم بأن الموقف قد بلغ هذا الحد من التحرج والخطورة يا توفى . وها أنا باق هنا بالمنزل من أجلها ، ومن أجلك أنت أيضاً ، إذا اقتضى الأمر . [تدخل الأم

الأم : أين بيتر يا كرس ؟ لم لم يعد حتى الآن ؟ إنك أخبرتنى فى الصباح أن الأمر لا يعدو أن يكون التباساً وسوء فهم ، وأنهم لابد مطلقون سراحه فى المساء . أسامع أنت ما أقول يا كرس ؟

كرستوفر : بلى يا أمى ، ولكن ليس فى الاستطاعة أن تصرف الأمور بمثل هذه السرعة ، إذ من المحتمل أنهم قد ألقوا القبض على مئات

من الناس . وقد يستغرق الأمر أسبوعاً أو نحو ذلك ، قبل أن يقطعوا برأى فى كل حالة على حدة .

الأم : أسبوع ؟ أتعنى أنهم سيتصرفون مع پيتر هذا التصرف . إننى لن أدعهم يفعلون ذلك . سوف أذهب ، وأكشف لهم عن رأيى فى تصرفهم هذا .

كرستوفر : لا تفعلى هذا يا أمى ، فإنهم لن يأذنوا لك حتى فى الدخول .

الأم : لن يأذنوا لى فى الدخول ! ماذا تقول ؟ إننى ذاهبة لأحمل إلى پيتر بعض الملابس النظيفة ، وشيئاً من الطعام . إن أحداً لن يستطيع أن يمنعنى عن ذلك . إن هذا من حق كل أم .

كرستوفر : لابد لك من أن تنتظرى بعض الوقت يا أمى . فالشوارع والطرقات مقفلة ، والجنود يمنعون المرور فيها ، وما من أحد يسمح له بالدخول إلى الأحياء الرئيسية .

الأم : ولكنهم لن يمنعوا الأمهات عن المرور فيها . سوف أخبرهم بأننى أحمل شيئاً لولدى .

لابد لى من رؤية پيتر . يجب أن أعرف
فى أية حال هو . ليس پيتر بمجرم حتى
يعتقلوه . لتكن على ثقة من أننى سوف
أكشف لهم عن رأيى فيهم . سوف أخبرهم
بأنه لا حق لهم فى إيداع ابنى غياهب
السجون .

كرستوفر : حسن كل هذا يا أماه ، ولكن من حقهم
أن يتصرفوا هذا التصرف .

الأم : ماذا ! أپيتر مجرم ؟ أأساء إلى أحد فى حياته؟

كرستوفر : لا يا أمى إنه ليس مجرماً ، لا أحد يرميه
بذلك .

الأم : إذن نحن متفقان . وما دام الأمر كذلك
فلا حق لهم فى إلقاء القبض عليه ، وحبسه
لغير ذنب ولا جرم .

كرستوفر : أتدرين يا أماه . لا أظنك قد فهمت الأمر
على حقيقته .

الأم : أعلم ذلك . تولى ، أرجو أن تتركنى وحدى
مع كرس . ليس ما يدعو إلى أن تسمع
سخف مقالى .

[ينسحب تولى متلكئاً]

الأم : إننى أحاول أن أتفهم كل شئ يا كرس .

ولكننى لا أفهم كيف يستحل أحد أن يقبض على ابنى ، وهو لم يسئ إلى أحد أبداً ؟ هذا هو ما لا أفهمه ولا أكاد أتصوره .

كرستوفر : إننى آسف يا أمى ، ولكنك غير مدركة على ما أرى أننا فى غمرة حرب أهلية .

الأم : وماذا لو كنا فى غمرة حرب أهلية ؟ أهى ضرورة لامعدل عنها .

كرستوفر : نعم ، لأن الأمة منقسمة إلى حزبين ، ولا يمكن أن تحكم البلاد إلا بواحد منهما فقط . لذلك لم يكن بد من القتال لاستبعاد أحدهما .

الأم : وهل هذا هو السبب الذى من أجله تطلق المدافع والبنادق ؟

كرستوفر : نعم هذه هى الطريقة الوحيدة

الأم : وهل مسألة من يتولى الحكم حيوية بالنسبة لهم إلى هذا الحد ؟ أما لهم أهل وعائلات ، أليس من واجبهم أن يفكروا فى أهلهم وذويهم ، ومالهم عليهم من حق الرعاية ؟

كرستوفر : ليست الأسرة هى كل شئ .

الأم : إنها كذلك بالنسبة لى ياكرس ، ولا تقل لى إن بيتر أراد أن يفرض سلطانه على أى مخلوق

كائناً من كان . إنني أعرفه كل العرفان ، فهو لا يستطيع أن يصيب أحداً بسوء حتى ولو كان ذبابة أو حشرة من الحشرات . أنت يا كرس قد تقدم على ذلك ، أما هو فلا . وليس من طبعه أن يتطلع إلى السيطرة على أحد من الناس أبداً .

كرستوفر : هذا لا يغير الواقع يا أمي . فحزبه يريد أن يفرض سلطانه على الأمة ، ويغير الأوضاع القائمة بوجه عام حسبما يتراءى له . ولو تم ذلك ، لكان كارثة عظمى وبلاء شديدا للوطن ، فهم عصابة من مجرمين وخونة يا أمي ، إنهم يودون أن يقلبوا البلاد رأساً على عقب ، حتى تتهيأ لهم الفرصة للنهب والسلب

الأم : آه . لا يا كرس ، لا تقل لي ذلك . أنا أعرف الناس بيتر ، إنه ليس ممن يعاشر مثل هذا الطراز من الناس ، ولا أنت يا كرس . أنت لا تعامل المجرمين والخونة . إنني على ثقة مما أقول .

كرستوفر : غلطة بيتر ، وثوقه بالناس وهو مغمض العينين وفي غير تحفظ .

الأم : بالطبع ، لأنه ما يزال حدث السن . أما

أنت فلم تكن حدثا مثله بطبعك ، ولا ميالا إلى معاشرة الناس يا كرس . إنك لم تكن تصادق الناس بسهولة ، بل كنت عزوفا متعاليا . على أن پيتر لم يكن يميل أبداً إلى مصاحبة شرار الناس .

كرستوفر : أمعنى هذا أنى كنت أصاحبهم يا أمى ! خلاصة القول : هو إما أن يكون پيتر وفرقته على حق ، وإما أن نكون نحن على حق ، ففريق منا لابد أن يكون أفاكاً زائفاً إلى أبعد الحدود .

الأم : إنى على يقين من أنك لست كذلك . ففيك إباء وشمم . وأنت أرفع من أن تأتى شيئاً يتنافى مع الكرامة والشرف .

كرستوفر : يسعدنى أن يكون هذا رأيك فى تصرفاتى يا أمى . والآن دعينى أؤكد لك بشرف أن پيتر انحاز إلى جانب الفريق الخطئ ، وأنه لا مناص لنا من القضاء على هذه العصابة لصالح الأمن والنظام .

الأم : أجل يا بنى ، ولكن هل كان حتماً عليهم أن يقبضوا على پيتر لصالح الأمن والنظام؟

كرستوفر : أجل يا أماه . إن انحيازه إلى هذا الفريق قد أفضى إلى ذلك .

الأم : إذن هذا عار كبير ياكرس . إنهم أبعد من أن يكونوا على الصواب إذا هم استحلّوا القبض على پيتر .

كرستوفر : لوسنحت الفرصة لپيتر يا أمى لأمر باعتقالى

الأم : پيتر !

كرستوفر : أعنى تلك الفئة من الناس الذين ينتمى إليهم .

الأم : فقط إذا كانوا حمقى وأوغادا . أرجو ألاّ يكون لك من النوايا ما ينطوى على الشر ياكرس . وإلاّ فكيف يمكن أن يقدموا على اعتقالك ؟ إنه يكون ظلماً لا يقل عن ظلم الذين اعتقلوا پيتر . إنهم قوم أشرار يا كرستوفر . أشرار غلاظ الأكباد لا عقل لهم ولا إدراك . يا لله ! كم وددت لو أنى لطمت وجوههم .

كرستوفر : على رسلك يا أماه .

الأم : إننا لا نستطيع أن نتركه حيث هو موجود ياكرس . لابد لك من أن تساعدنى بصورة أو أخرى . أترى أنهم محتفظون

به هناك لعدة أيام أخرى ؟

كرستوفر : قد يكون الأمر كذلك يا أماه : ولكنهم لابد مطلقون سراحه بعد ذلك . إنى لا أسمع جلبة فى الخارج الآن . سينتهى كل شئ غداً . سوف ترين .

الأم : وعندئذ تذهب معى لإحضار پيتر ؟

كرستوفر : نعم يا أماه .

الأم : أما أستطيع أن آخذ له شيئاً اليوم ؟

كرستوفر : لا ، ليس اليوم يا أمى .

[صوت بعض طلقات نارية آت من بعيد . والظلام يزداد]

الأم : ما هذا ؟

كرستوفر : [متمتما] لاشئ ، طلقات فى شارع من الشوارع التى تقع على مبعدة كبيرة من هنا . اسمعى يا أمى . لاينبغى لأحد أن يترك الدار .

الأم : ولكن لا بد أن يكون پيتر فى انتظارنا .

كرستوفر : أما تكفين عن الكلام فى موضوع پيتر . إنه ليس الوحيد الذى يستوجب الاهتمام بأمره .

الأم : أتعنى أن شيئاً قد يحدث لتونى أو لك ؟

كرستوفر : آسف يا أمى ، ولكن يبدو لى أنك لم تفهمى ، إنى كنت أفكر فى وطننا .

[صوت طلقات نارية بعيدة]

الأم : كل ما أتمناه ألا يصاب بيتر بسوء .

كرستوفر : [وهو يتسمع من النافذة] كل ما أتمناه ألا يصيب الوطن مكروه يا أمى . ففى مكان ما فى الخارج تقف فرقة من فتياننا البواسل ؛ ولست مستطيعة يا أماه أن تتصورى مبلغ شجاعتهم . إنهم زهرة فتياننا المختارين ، كلهم من الرماة المعدودين ، وإنهم لأول من يخوض غمار المعمعة حينما يحين الأوان ، وسوف يتلفت كل منهم إلى أخيه متسائلا . أين كرس ؟ هاأنذا . إنى لا أستطيع الانضمام إليكم . . لابد لى من البقاء هنا فى الدار . لابد من بقاء واحد منا هنا خشية حدوث ما لم يكن فى الحسبان . رافقتكم السلامة أيها الزملاء ، ولكن لاتعتمدوا علىّ .

الأم : كرس ، ماذا دهاك ؟

كرستوفر : لاشىء يا أمى . لاتخشى بأسا . إنى باق هنا [معك ومع تونى . لأنه إذا جدّ شىء فى الشوارع والطرقات ، فلن يخلو الأمر من

تسلل بعض الأوغاد من طغام الناس وسوقهم إلى المنازل ، لاعليك يا أمى ، لاتخشى بأسا . سوف أبقى هنا فى الدار .

[يتقدم نحو رف البندق]

الأم : عم تبحث ؟

كرستوفر : عن بندقية أبى . البندقية التى كانت معه فى إفريقيا . لقد حان الوقت لتنظيفها مرة أخرى تنظيفا تاما .

[يتناول البندقية من الرف]

الأم : ولكنى أنظفها وأزيل عنها الغبار كل يوم .

كرستوفر : أنت لا تفهمين السر يا أمى . إن كل بندقية تفتقر إلى شئ أكثر من مجـــرد التنظيف وإزالة الغبار . إنه يعوزها الاســـتعمال من حين لآخر ، وانطلاق الرصاص منها .

[يضع يده على كتف أمه] لاتقلقى يا أماه ، كل شئ سيكون على مايرام !

الأم : ويعود لى بيتر ؟

كرستوفر : بلى ، بلى يا أمى .

[يخرج]

الأم : [وهى تتبعه بنظرها] أعرف أنك لم تبح لى

بالحقيقة يا كرس .

[تسير فى الحجرة مرتبة محتوياتها . تسمع طلقات نارية عديدة من بعيد]

الأم : رباه ، ليتنى كنت أعلم ما يحدث لبيتر .

[ترتمى فى فوتيل ويداها مشتبكتان] اللهم احفظ ابنى بيتر ، وارعه واكلأه بعنايتك . أشفقى على أيتها السماء ، يا أم الرحمة ، واحمى ولدى . أضرع إليك يارب ، أعد إلى ابنى . يا إله السماوات ، ارحم أولادى .

[يظهر بيتر فى هدوء وسكون على عتبة الباب ، مرتدياً بنطلوناً وقميصاً مفتوح الصدر . وقد انتشر الظلام أو كاد] .

الأم : [تقفز واقفة] بيتر ، أو أطلقوا سراحك ؟

بيتر : هم ! لا ! ولكنى فررت منهم يا أمى .

الأم : [متقدمة نحوه شـــد ما جزعت عليك . اقترب منى يا بيتر ، يا حبيبى .

بيتر : [مبتعداً] لا يا أماه . ابقى حيث أنت .

الأم : [باسطة يديها نحوه] ماذا بك يا ولدى العزيز ، وأين سترتك ؟

بيتر : [وهو يبتعد عنها] هناك يا أماه . سوف يرسلونها إليك ؟

السترة وجميع الأشياء الأخرى . إنهم يراعون قواعد النظام بكل دقة وصرامة .

الأم : من تعنى ؟

بيتر : هم ، البيض ، أما تعلمين . لا تضيقى الحجرة يا ماما . إنى فى غاية الأسف . لدى شئ يجب أن أفضى إليك به . وهذا هو السبب فى مجيئى إليك مباشرة . إذ لعل من الأوفق أن أحمل إليك الخبر بنفسى .

الأم : بيتر ، ماذا حدث [تحرك يديها فى مواجهته] اقترب منى يا بيتر .

بيتر : [يبتعد] . يجب ألا تغضبى علىّ يا أمى ، ولكننى فى الواقع لم أستطع أن أتفادى الأمر . ولا استطاع كرس أيضاً .

الأم : ما الذى لم تستطع أن تتفاداه ؟

بيتر : سبحان الله يا أمى — أما أدركت ما أعنيه حتى الآن . ما أبطأ فهمك . لم يكن من الأمر مفر ، بل كان هذا هو المتوقع — ولقد علم كرس بما سوف يحدث قبل وقوعه ، ولكن أياً ما كان الأمر ، فقد وقع المحظور وطويت صفحته .

الأم : [وهى تزداد هلعاً] ما الذى وقع ، وطويت

صفحته يا پيتر ، يا حبيبى ؟

پيتر : إنه موضوع تقادم عهده ، وبليت جدّته الآن .
إنه حدث من نصف ساعة مضت يا أمى .

الأم : ما هو ؟

پيتر : إنهم قتلونى رمياً بالرصاص .

الأم : پيتر !
[تترنح وتقع على الأرض] . . .

پيتر : ولكن ، أمى — يا لله — ماذا فعلت ؟ النجدة —
أما من أحد يأتى لمساعدتى ، أندرو
[يأتى أندرو راكضاً من الركن المظلم فى الغرفة مرتدياً مريلة بيضاء]

أندرو : ماذا حدث ؟

پيتر : انظر — أمنا قد . . .

أندرو : [يركع بجانبها ويمس نبضها] دعينى أرى مابك يا أمى .
[الأب فى زيه العسكرى يتقدم من الركن المظلم]

الأب : ماذا بها . لم تشكو ؟

پيتر : لا أدرى — ولكنها وقعت فجأة إلى الأرض .

الأب : لم لم تكن أكثر حذراً ؟ [يركع بجانب الأم]
حبيبتى ، ماذا حدث لك ؟
[يظهر جورج قادماً من الركن المظلم فى زى طيار]

جورج : مرحباً بك يا أبى . أمريضة أمى ؟

[يضع المصباح الموضوع على مائدة الكتابة]

أندرو : [وهو ما يزال راكعاً إلى جانبها] إنه قلبها . ضرباته غير منتظمة . مسكينة أنت يا أمى .

الأب : ليت فى استطاعتنا أن نرسل فى طلب أحد لإسعافها .

أندرو : لم ذلك ؟ نحن هنا ، أما يكفى وجودنا ؟ إنها لن تفيق من غيبوبتها قبل برهة من الزمن . صدمة عصبيـــة . الأصوب أن ندعها تستريح . أحضروا بعض الوسائد .

بيتر : [يحضر الوسائد] ها هى ..

أندرو : ارفع رأسها يا أبى [يضع الوسائد تحت رأسها] والآن . لا تتحركى يا أمى [ينهض] ابتعدوا عنها قليلا . إنها فى حاجة إلى الهدوء .

الأب : [نامضاً] ما الذى حملك على إزعاجها على هذه الصورة يا بيتر ؟ وماذا تفعل هنا على كل حال . ؟

أندرو : لحظة يا أبت [يدير بيتر فى مواجهة الضوء ويفحص جبينه] يا لله ! الرصاصتـــان الأولى والثانية أصابتاه هنا . [يفتح قميصه ويتدخل صدره بأصابعه] . واحد . اثنان . ثلاثة .

يا لله ! هذه الرصاصة اخترقت قلبك تماماً .

الأب : دعنى أرى — إنها أصابت الهدف بالفعل . عجباً . إنها تكاد تشبه — أذكر مرة أننا وضعنا عدواً أمام ثلة من الجنود لإطلاق النار عليه . رباه ! من أين جاءتك هذه الرصاصة ؟

بيتر : من الكتيبة التى كلفت بإعدامى .

الأب : أتعنى أن الجيش أعدمك رميا بالرصاص يا ولدى .

بيتر : نعم يا أبى .

الأب : أبتهمة الخيانة يابيتر ؟

بيتر : لا يا أبى — لأننى انحزت إلى جانب قضية عظيمة مشرفة .

الأب : ضد الجيش ؟ إن ذلك لايبدو لى مسلكاً سليما يا بنى .

بيتر : إن من رجال الجيش من كان يقاتل إلى جانبنا أيضاً .

الأب : رجال من الجيش بين صفوف الفريقين .

بيتر : نعم .

الأب : هل انقسم جيشنا إلى فريقين ؟

بيتر : نعم يا أبى .

الأب : إن هذا يبدو لى أمراً سيئاً خطيراً ياپيتر . جيشنا منقسم على نفسه . لابد أنك تهدى بعض الهذيان يا ولدى . وإلا فلا بد أنك كنت جاسوساً يا پيتر .

پيتر : كلا يا والدى . كل ما عملته أنى كنت أكتب مقالات فى الصحف .

الأب : لاتهدى ياپيتر . إنهم لا يعدمونك رميا بالرصاص من أجل ذلك . نحن لم نكن نعدم سوى الجواسيس أو الخونة .

جورج : لقد تغيرت الدنيا يا أبت .

الأب : ما من شك أن الأمر يبدو لى كذلك ؛ حقا أعتقد أن لعبتكم قد أصبح لهـا قواعد جديدة :

[يتحول إلى الأم] والآن كيف حالها ؟

أندرو : [ينحنى نحوها وهو جالس فى مقعده] إنها ما تزال فى غيبوبة . على أنها تبدو كما لوكانت نائمة .

الأب : لا خوف إذن . إنها الوحيدة التى تستطيع أن تسمع ما نقول .

أندرو : والتى تستطيع أن تتحدث إلينا . لأنهـا الوحيدة التى لم ينقطع اتصالها بنا .

بيتر : [يدير الكرة الأرضية التى على مائدة الكتابة جزافاً لغير غرض معين]
لقد كان من أشق الأمور على أن أقص عليها تفاصيل ما حدث لى .

جورج : أعرف ذلك يا أخى العزيز . إنه يجعلك تشعر كما لو كنت تعترف بأنك تصرفت بنذالة . [يفتح أحد أدراج المكتب ويعبث بمحتوياته] خبرونى يا إخوان ، هل علمتم أن والدتنا قد احتفظت فعلا بالغلايين التى كنا ندخن فيها التبغ . ما أكرمها وأعطفها ! عندما كنا أحياء كانت لا تسمح لنا بالتدخين هنا فى هذه الغرفة . [يضع غليونا خالياً من التبغ بين شفتيه ، ويفعل كما لو كان يدخن حقيقة] . بم . بم . ليس من شك أن الإنسان لا يملك إلا أن يشعر هنا بأنه فى بيته بالفعل .
[طلقات نارية فى الخارج]

الأب : [يذهب إلى النافذة] . يبدو أنهم يتبادلون الطلقات النارية . [يستمع] . . .

بيتر : [وهو يحرك منافض السجاير ومقلمات الأوراق جزافاً لغير قصد معين] . هؤلاء رجالنا . إنهم يطلقون النيران على رجالنا .

جورج : وها هى كراساتى ومسوداتى هنا أيضاً ، تصور أن أمى تحتفظ بها ، [يقلب صفحات واحدة منها] وهذا رسم من تصميمى ، عجيب جداً يا إخوتى ، هذا رسم آخر حاولت فيه تصميم هيكل لنوع جديد من الأجنحة .

بيتر : [وهو يضع على المكتب تمثالا صغيراً لزنجى كان موضوعاً فوق خزانة الكتب] . دعنى أرى .

جورج : لماذا أحضرت هذا التمثال هنا ؟

بيتر : لا أقصد غرضاً معيناً . شئ أشغل به نفسى على الأرجح .

الأب : [يبتعد عن النافذة] دعه يا جورج — إن حديثى العهد بالموت كثيراً ما يستبد بهم القلق ، كأنما هم يريدون أن يذكروا بعض الأحياء بأنهم كانوا هنا . ولكنه سوف يقلع عن هذا الشعور فيما بعد . قل لى يا بيتر : أرجو أن تكون قد قابلت الموت بشجاعة الرجال على الأقل .

بيتر : [وهو ينقل آنية الشبع من مكانها إلى مكان آخر] نعم يا أبى . لم تطرف لى عين .

الأب : شد ما سرنى قولك . لا يجب أن تورثنا خزياً وعاراً كما تعلم .

أندرو : [يجلس إلى جانب الأم] لابد أن يكون الإعدام على هذه الصورة شيئاً يكدر الخاطر .

بيتر : إنه لكذلك حقاً . عند ما وقفت هنـــاك ويداى موثقتان ، ورأيت ستة من الجنديين الجدد — وهم على الأرجح من غلمان القرى الذين لا دراية لهم ولا خبرة — تحركت فى قلبى عوامل الشفقة ، رحمة بهم ورثاء لحالهم ، ما أفظع أن يكون الإنسان جلاداً . أؤكد لك أننى ما كنت أستطيع أن أكون واحداً من أولئك الجنود الذين كلفوا بمهمة إعدامى .

الأب : ألم يعصبوا عينيك ؟

بيتر : لا يا أبى — لقد أرادوا أن يضعوا على عينى عصابة بالفعل ، ولكننى رفضت .

الأب : هذه روح طيبة يا بنى . من كان رئيس كتيبة الإعدام ؟

بيتر : ضابط من رتبة ملازم . رجل هزيل قصير مختنق الصوت ، حاول إرهاب الجنود وزجرهم ما وسعه الجهد والزجر ، حتى لا يلمحوا مبلغ اشمئزازه ونفوره من المهمة التى كلف بها . ولقد حشا مسدسه بالرصاص

فعلا تحت أنفى كما لو كان يزمع أن يقضى على بيده إذا أخفق الجند فى ذلك .

أندرو : يا لله !

الأب : لابد من ذلك يا أندرو . هذه هى الطريقة الوحيدة .

پيتر : يا لله . كم هيج هذا الأبله أعصابى ، حتى اضطُررت آخر الأمر إلى أن أقول له : تنح أيها العاجز الأحمق ، ودعنى أقم بالمهمة بنفسى .

الأب : ما كان ينبغى لك أن تتصرف على هذه الصورة يا پيتر . فالإعدام أمر خطير له حرمة ووقار . شهدت ذات مرة حادثاً كهذا . . . . ولكن ما علينا ، ليس هذا وقت الكلام .

پيتر : الواقع يا أبى أن الإنسان عند ما يكون فى موقف من هذا النوع ، ينزع إلى مثل هذا التصرف ليحتفظ برباطة جأشه . لقد أخذ الجنود يضحكون ، وضحكت أنا أيضاً ، فهدأت أعصابى ، ونفّس الضحك عنى بعض ما بى من الكرب . فاحمر وجهه عقب ذلك من الحنق ، واستل سيفه من غمده

وصـــاح بصوت مختنق : انتباه . كتفا سلاح ! وإنى أقول لك أن .....

جورج : . . . ماذا ؟

بيتر : كان هذا كل ما وسعنى أن أفعله ، لأمنع ركبتىّ من أن تصطكا فتعجزا عن حمل أو من أن ينتابنى الضعف والخور أو شئ من هذا القبيل . وفجأة غشينى إحساس بالضعف فى ساقىّ وبطنى . لقد شعرت وقتئذ ، كما لو كنت خرقة بالية . وأعجب ما فى الأمر ، أننى لا أذكر متى أصدر ذلك الثور أمره بإطلاق النار . كل ما أحسسته ريح باردة تتخلل شعر رأسى .

أندرو : هذا هو الطلع بعينه !

بيتر : أظنه كذلك [يحرك بعض الأشياء التى على المكتب فى عصبية وقلق] ولكن أستطيع أن أخبرك بأنه كان إحساساً رهيباً مرعبا .

جورج : [يرفع رأسه من كراسته] لا حاجـــة بك لإخبارى

بيتر : لا تستطيع أن تتصور هذا الإحســـاس ياجورج ، لا أنت ولا غيرك .

جورج : لا تتعب نفسك . إننى أعرفه كل المعرفة ،

فهو لا يختلف عما أحسسته عندما أخذت الطائرة تهوى بى إلى الأرض .

بيتر : نعم ، ولكنه إحساس لم يدم أكثر من طرفة عين .

جورج : على العكس ، فإنك عندما تهوى من ارتفاع ستين ألف قدم تستغرق فترة طويلة من الزمن إلى أن تصل إلى الأرض . والواقع أنك لا تستطيع تحديد طول الفترة ، إذ يبدو لك أنها مستمرة إلى الأبد ، وفى الوقت نفسه تشعر كما لو كانت الأرض من أولها إلى آخرها تسرع نحوك ركضا .

أندرو : ما الذى مر بخاطرك وأنت على هذه الحال؟

جورج : لم يمر بخاطرى شئ معين . هدوء مخيف مرعب . إذن هذه هى النهاية أو عبارات من هذا القبيل . هأنذا أفكر فى أمرى بوضوح وفى هدوء يائس ، وأجيل النظر من تحتى فى الوقت نفسه مستعرضاً تلك الرقعة من الأرض ، التى أصبح من المرجح أن أتحطم فوقها . لا ، ليس هناك ، إننى لا أحب منظر هذه الأشجار . لعل هذا الحقل يكون أكثر ملاءمة للسقوط فيه

بيتر : إذن لم يكن خطبك آخر الأمر بالغ القسوة .

جورج : هذا ما يتراءى لك ! ولكن ثق أن ذلك الشعور اليائس ، الشعور بأنك لا تستطيع أن تقوم بأية محاولة لإنقاذ نفسك . كان أشد قسوة من أى ألم يخطر لك على بال . كنت كما لو أن كل شئ داخل هيكلى الآدمى قد أصيب بالشلل ، وإننى عاجز عن أن أحرك عضواً من أعضائى .

أندرو : هذا هو الخوف والهلع المجسم بعينه .

جورج : ليس لى أن أحكم على ذلك . ولكننى لا أود أن أموت هذه الميتة مرة أخرى . [يقلد حركة من يرعد] ما كان أفظع ذلك الإحساس !

[فترة صمت قصيرة] . . .

بيتر : وماذا عنك أنت يا أندرو ؟

أندرو : آه ! كان لدى متسع فسيح من الوقت . فقد انقضت أيام بلياليها قبل أن . . .

بيتر : قبل أن تموت ؟

أندرو : نعم . كنت أعلم أن أجلى قد انتهى قبل أن أموت بثلاثة أيام . إنك عندما تدرك ذلك وتتحقق منه ، ينشط عقلك وتعاودك

الذكريات . ولست أزعم أنى ارتحت لذلك . وزاد الطين بلة أنى كنت على الرغم منى أتتبع حالتى وهى تزداد سوءاً من آن إلى آن ، فأرى أعراض الداء وكأننى أموت عضواً فعضواً . كل عارض مطابق تماماً لما جاء فى كتب الطب . الآن انتهى الكبد ، والآن . . .

الأب : ولكن خبرنى يا أندرو ، كيف تركت جرثومة الحمى الصفراء تنتقل إليك ؟

أندرو : كانت تجربة يا أبى . كنا نريد أن نعرف إذا كانت البعوضة اللعينة ، (الاستيجوميا) تنقل العدوى كذلك من المصابين الذين مروا بمرحلتها الأولى . فقد كان الأطباء غير واثقين من ذلك بصورة قاطعة . فعرّضت نفسى لعضة بعوضة من بعوض الاختبار .

الأب : وانتقلت إليك العدوى ؟

أندرو : نعم ، انتقلت ولا شك . والواقع أن نتيجة الاختبار جاءت بعكس ما كان ينتظر .

الأب : وهل لاختبار من هذا القبيل أى قيمة ؟

أندرو : [يهز كتفيه] طبعاً ، من الناحية العلمية على

الأقل . فقد كنا نريد أن نعرف كيف تتوالد البكتريا فى البعوض وتنمو ، وهو أمر له أهميته يا أبى .

جورج : وهل الموت من أثر الحمى الصفراء مؤلم قاس ؟

أندرو : لا مشـــاحة فى ذلك . فهأنتذا ترقد وأنت أضعف من الفـــأرة ، ولا تكاد تلتابك الحمى ، حتى يتبع ذلك البرقان . ثم آفات أخرى لا يعلمها إلا الله . صدقنى إنها داء خبيث ملعون ، داء لا أتمناه لأعدى أعدائى .

بيتر : يبدو لى إذن أن أبى هو الوحيد من بيننا الذى مات ميتة مجيدة .

الأب : أنا ؟ ما الذى يحملك على هذا الظن ؟

بيتر : لا ريب ، فالإنسان الذى يقتل فى ساحة الوغى إنما هو . . .

الأب : ولكنى لم أقتل على هذه الصورة يا ولدى .

بيتر : لم تقتل على هذه الصورة ؟ ولكننا كنا نظن دائماً . . .

الأب : إننى قتلت فى المعركة أثناء الهجوم الأخير أعرف ذلك . هذا الذى قيل إنما كان

ادعاؤه من أجل أمكم ليس إلا . لم يكن
فى مقدورهم أن يخبروها بحقيقة ما حدث .

جورج : إذن ما الذى حدث ، كيف . . . ؟

الأب : لم أقتل أبداً . بل كان القتل أبعد ما يكون
منى . وإنما تركت راقداً حيث كنت .

أندرو : جريحاً ؟

الأب : نعم يابنى . وعلى هذه الحالة وجدنى العدو .

بيتر : وبعدئذ ؟

الأب : ساموفى الأمرين ، وعذبونى عذاباً شديداً .
[وبحركة من يده] ولكن أظن أن لا داعى
للخوض فى هذا الموضوع . كيف حال
الأم يا أندرو ؟

أندرو : نبضها قد تحسن .

الأب : اسمعوا يا أولادى ! يجب ألا تعلم أمكم
شيئاً مما قلته لكم بالطبع .
[فترة صمت قصيرة] . . . .

جورج : [وكراسته ما تزال فى يده] لطالما قيل لنا كما
تعلمون ، كيف أن الموت فى سبيل شئ أو
آخر عمل مجيد رائع : كالموت فى سبيل
العلم ، أو الوطن ، أو العقيدة ، أو خلاص

البشرية ، وما إلى ذلك . ولكن عند ما يحدث هذا . . .

أندرو : تجد أنه يختلف كل الاختلاف عما كنت تنتظر أن يكون . ولكن لو أن الناس أدركوا حقيقة ما يشعر به المرء فى أمثال تلك الظروف ، لكفوا عن التشدق بجلال الميتة التى يموتها الإنسان فى سبيل قضية معينة أو مبدأ عن أى جلال تراهم يتكلمون ، إننى لم أجد فيما أعلم شيئاً من ذلك الجلال والمجد يتصل بموتى [بصع طلقات نارية بعيدة]

الأب : الواقع أن الرجال طالما ضحوا بأنفسهم فى سبيل شئ أو آخر طوت ذكره الأيام ، ولم يكن بد من نسيانه ، على أننى كثيراً ما فكرت لو أننى كنت عميدا أو لواء على المعاش أقيم هنا مع والدتكم ، لانصرفت إلى كتابة مذكراتى ، وخصصت بعض وقتى للعناية بالحديقة . كم يكون ذلك ممتعاً . لعلكم مستطيعون إدراك ذلك ، فالذى لا شك فيه ، هو أن للحياة حسناتها وفضائلها . فهى تتيح لك الفرصة للقيام بعمل من الأعمال . أعلم أنكم جميعاً

قد ضحيتم بحياتكم فى سبيل أمر عظيم ، فأندرو فى سبيل العلم ، وجورج فى سبيل تقدم الطيران ، وبيتر — ما الذى ضحيت بحياتك فى سبيله بالضبط يابيتر يا ولدى ؟

بيتر : [وهو يرتب قطع الشطرنج فوق الرقعة] فى سبيل المساواة والحرية يا أبى .

الأب : آه ، وأنا مت فى سبيل الوطن وشرف الكتيبة . أولأن العميد أصـــدر تعليمات منكرة خاطئة ، ولكن لا علينا من ذلك ، كلها أعمال عظيمة جديرة بأن تضحى الحياة فى سبيلها . وإنكم لتعلمون أنى قد مضت علىّ فى الممات فترة أطول مما مضى على أى واحد منكم بزمن طويل ، ولكن صدقونى حينما أقول لكم إنى لن أرفض العودة إلى الحياة الدنيا فترة أخرى لو أتيحت لى الفرصة . لقد استمتعت بالحياة ، استمتعت بها كل الاستمتاع . وإنى حينما أنظر إليكم لا يسعنى إلا أن أقول لنفسى : « إن واحداً من أولادى هؤلاء قد يعمل عملا محموداً أو عملا عظيما حقا » ولكن ها نحن اليوم كلنا أبطال . إنه لغبن فاحش أن نموت جميعاً . ليتنا كنا

مانزال على قيد الحياة .

أندرو : [ناهضاً على قدميه بتمطى] إنه شئ ممل ، ممل حقاً . ليس لنا من عمل سوى أن ننظر مكتوفى الأيدى ، بينما ينشط غيرنا لعظائم الأمور وجلائل الأعمال . وبما أننا أموات فليس لنا ما نعمله سوى أن نتبع نظرية (أيسر المقاومة) . [يسير إلى خزانة الكتب] . أقسم لو كنت على قيد الحياة لواصلت العمل كبركان متأجج ، ولكان مرض النوم هذا ، هو الداء الذى أكرس نفسى للقضاء عليه .

جورج : [وهو ما يزال ممسكاً بكراسه] — أجل ، سأكون .

الأب : ماذا دهاك ؟

جورج : خطرت لى فكرة رائعة ، فكرة من الميسور تطبيقها عملياً !

يا لله — ليتنى فكرت فيها من قبل . لحظة قصيرة .. يجب أن أفكر مبدئياً فيما يجب أن تكون عليه . [يجلس إلى مائدة الكتابة ويشرع فى رسم تخطيطى] . نعم هذه هى الصورة تقريبا .

أندرو : [يفتح خزانة الكتب] لا جدال فى أن أمنا عظيمة .

پيتر : [وهو مكب على الشطرنج] من أية ناحية ؟

أندرو : انظروا ! إنها ما تزال مواظبة على دفع اشتراكاتى فى كل ما يصدر من النشرات الطبية ، وها هو آخر عدد صدر من نشرة أمراض المناطق الحارة ، التى كنت أنشر فيها بعض بحوثى .

پيتر : هذا صحيح ، وقد نعوك فيها بكلمة رائعة .

أندرو : [وهو يستخرج إحدى النشرات] . أظن من الواجب على أن أتصفح هذه النشرة حتى لا تنقطع صلتى بتلك الأشياء .

[يجلس جلسة مريحة على الأريكة، ويشرع فى تصفح النشرات التى ما تزال صفحاتها متشبكاً بعضها ببعض]

الأب : [واقفاً إلى جانب الأم] أرأيت يا حبيبتى ! ها أنت قد اجتذبتهم جميعاً إليك من جديد ، إنهم يشعرون بالسعادة حينما يكونون معك فى المنزل ، وما ذلك ياعزيزتى إلا لأننا لا نزال أحياء بالنسبة إلى كل ما يتصل بك .

بيتر : [وهو منكب على الفطرنج] لا ، لا فائدة من هذا — إن هذه المسألة لمعضلة عسيرة الحل حقاً .

جورج : [وهو منهمك فى رسمه] . نعم ، هذا هو الوضع الأقرب إلى الحل الصحيح ، ولكن يجب نقل مركز الثقل إلى أسفل قليلا .

الأب : [يفتح حاكياً منتقلا] طالما اصطحبت هذا الفونوغراف معى فى تجولاتى حتى عند ما كنت فى ميدان القتال . [يتلو كما لو كان مدفوعاً إلى ذلك بحكم العادة] كانت تهدهد الأسطوانة أحب الاسطوانات إلى نفسى . مسكينة أمنا لقد تركتها فى الفونوغراف على سبيل الذكرى .

[يدير الفونوغراف]

[يدور الفونوغراف فى رفق ولين ، وقد أخذ الأب ينصت إليه فى شغف بينما انشغل الآخرون ، كل بما يشبع هويته]

أندرو : [وهو يقرأ المجلة الطبية] هذا عظيم ! لقد اكتشفوا علاجاً ناجعاً لداء الأسد ، وهو نوع من الجذام . إنه لنبأ سار جداً .

[صوت طلقات نارية فى الخارج]

جورج : [وهو منهمك فى الرسم] أما انتهوا من إطلاق النيران بعد !

بيتر : [وهو مكب على رقعة الشطرنج] إنهم ما كادوا يبدأون . اسمع يا أبي ! يبدو لي أن مسألتك هذه ستنتهي بالتعادل . ليس ثمة وجه لتغلب الحمر أو البيض .

[يشتد صوت إطلاق النيران . ويكف الفونوغراف عن الدوران]

الأب : هذه أحب الاسطوانات إلى قلبي [يبتعد عن مركزه ويستمع] أتسمع هذا ؟ . راتاتاتا . مدافع رشاشة يا بيتر .

بيتر : معنى هذا أن المعركة قد بدأت . هذا ما كنت أتوقعه ، [يهب واقفاً] يا لسوء الحظ ! كم وددت لو أنني خضت غمارها ! هيا يا رفاق . اكشفوا لهم عن معدنكم ! .

أندرو : [ينهض واقفاً ويلقي بالشطرنج جانباً] سوف يتألق نجم بعض الأبطال ، أليس كذلك ؟ أنا لا أحب سماع هذا الصوت .

بيتر : ما أعجب ما تقوله يا أخي . إن الاستماع لهذا الصوت متعة . إنه الموسيقى بعينها ! أولئك رجالنا قد نهضوا اليوم للأمر ، قد شمروا عن ساعد الجد ! لقد بدأوا هجوما خاطفا كلمح البصر ، هاهم يكتسحون

الشوارع والطرقات بمدافعهم الرشاشة مندفعين إلى الأمام على أحسن صورة وأتم نظام . مرحى مرحى يا رفاق ما أروع كفاحكم ! إنى لم أمت عبثا بعد .

الأب : هذا مدفع سريع الطلقات . بم — بم — بم — بم إنه على بعد ميلين ، اضبط المرمى .

جورج : [ناهضاً] إن المدافع مسلطة على قلب المدينة يا أبى .

بيتر : [منتشياً من الفرح] هذه مدافعنا . ومعنى هذا أننا انتصرنا .

الأب : كل ما أرجوه ألا تنزعج أمكم .

أندرو : إنها لا تعرف شيئاً عما يجرى [يلف قطعة من رباط طبى وجدها فى جيبه ثم يفردها ، ثم يعيد لفها وفردها بدون وعى] ما أحمقهم وأجهلهم ، كيف يطلقون رصاص المدافع والبنادق هكذا فى الشوارع والطرقات ، سوف ينتهى الأمر بمذبحة عامة شاملة بلا ريب !

بيتر : ما علينا من هذا . يجب أن يهيئوا مكانا للأجيال القادمة ، وهذا يبرر مايعملون حتى ولو ضحوا فى هذا السبيل بعشرات

وعشرات الألوف من الأرواح . أتسمع هذه الطلقات ؟ قسما إنه لعمل رائع . وددت لو أنني فى المعمعة .

الأب : لقد أخذوا الآن يطلقون الرصاص فى كل مكان ، إنه مسلك غير سليم على مايبدو لى ، بل هو أقرب إلى مذبحة فظيعة من أى شئ آخر .

بيتر : وماذا فى ذلك ؟ ليس ثمة سبيل غير هذا ، كان لابد أن تحين ساعة أولئك الخونة إن عاجلا أو آجلا ، ليلقوا جزاء ماقدمت أيديهم ، ليس هؤلاء المتوحشين من البيض سوى الرصاص والقنابل . أتسمع ضرب النار كيف يتشعب ويمتد ؟ إن فريقنا سيقاتل إلى النهاية . فمعنا المشاة من الجيش ، ومعنا البحارة ، ومعنا الشعب أيضاً . وكل مالديهم هم الضباط . صحيح معهم الطيارون ولديهم المدافع ، ولكنهم لن يجرؤوا على استعمالها داخل المدينة ، وإلا قوضوا دعائمها وتركوها أثراً بعد عين إذا هم حاولوا ذلك ، أليس كذلك يا أبى ؟

الأب : لست أدرى على وجه التحقيق يابيتر ، إذ يبدو لىَ أن لكم قواعد ونظما فى هذه الأيام تختلف عما كان يقضى به العرف فى أيامنا .

چورج : [بجانب جهاز الراديو] وأى الفريقين يسيطر الآن على محطة الإذاعة ؟

بيتر : فريقنا بلا ريب . افتح الراديو يا چورج ودعنا نسمع ما يقولون .

چورج : فليكن [يدير مفتاح الراديو] . اسمعوا الآن.

صوت المذيع : [وهو أشبه ما يكون بصوت كرستوفر] . هنا مركز القيادة العامة للجيش الأبيض .

بيتر : [وقد امتقع لونه واستولى عليه الذهول] لابد أن يكون فى الأمر بعض الخطأ .

صوت المذيع : [فى مكبر الصوت] يدعو القائد العام للجيش الأبيض ، الثوار الحمر للمرة الأخيرة إلى وقف هذه المذابح الفظيعة فى شوارع المدينة ، وأن يضعوا السلاح فى ظرف خمس دقائق . وإذا هم لم يصدعوا بهذا الأمر ، فإن القائد العام سيأمر المدفعية بعد انقضاء هذه المهلة القصيرة بضرب المدينة .

بيتر : [صارخاً] لا يمكنهم أن يفعلوا ذلك . أتراهم فاعلين ذلك يا أبى ؟ إن هؤلاء الأوغاد قد فقدوا صوابهم .

صوت المذيع : [فى مكبر الصوت] يأمر القائد العام جميع المواطنين أن يحتموا ببدرومات منازلهم . وإذا لم يسلم الثوار الحمر فى بحر أربع دقائق ، فإن المدافع ستسلط على قلب المدينة ويبدأ ضربها بالقنابل ، وسوف نستعين بسلاح الطيران لتعزيز عملياتنا .

بيتر : أيها الأوغاد المتوحشون ، إنكم لن تجرؤوا على ذلك . إنكم تحاولون إرهابنا ليس إلا أيها البيض السفاحون .

صوت المذيع : [فى مكبر الصوت] إننا نحمّل زعماء الثوار الحمر مسئولية تخريب المدينة ، وكل مايترتب على ذلك من خسائر فى الأرواح . لقد أصدرنا تحذيرنا فى الوقت المناسب . كما أننا واصلنا المفاوضة معهم حتى اللحظة الأخيرة ، ولكنهم على الرغم من ذلك كله ، قد لجأوا إلى الخيانة ، وشرعوا يقتلون

من عندهم من رهائن وضباط ومواطنين
من فريقنا .

بيتر : إنكم تكذبون ! إنكم أنتم الذين بدأتم أيها
الجرذان ، أيها الجرذان المتعطشة للقتال
[يكشف عن صدره] أليس هذا من عملكم ؟

صوت المذيع : [فى مكبر الصوت] إننا نرفض الدخول فى
أى مفاوضات جديدة . وكل شخص
يضبط وفى حيازته أسلحة نارية من أى
نوع كانت ، سيرمى بالرصاص على الفور .
وكل من انحاز إلى صفوف الحمر ، سوف
يقدم للمحاكمة أمام المحكمة العسكرية .
وسوف نبدأ فى ضرب المدينة بالمدافع بعد
دقيقتين من الزمن . إنا ندعو الفريق
الأحمر للمرة الأخيرة إلى التسليم ، والكف
عن المقاومة : إن المدينة لن تنجو من
الكارثة التى لا يعلم إلا الله مدى فداحتها
إلا إذا صدع الحمر بالأوامر .

بيتر : لا تأبهوا لهذا القول أيها الرفاق . لاتسلموا .
دعوه يهدم المدينة إذا شاء . دعوا هذا

الشيطان اللعين يعمل كل ما فى وسعه أن يعمله .

أندرو : إذن سوف يكون ثمة ما يستحق أن يموت الإنسان من أجله ؟ اقفل الراديو يا جورج .

[جورج يقفل الراديو]

بيتر : أجل . عندئذ يكون هناك ما هو جدير بأن يضحى الإنسان بحياته من أجله . فليحيا الفريق الأحمر . إلى الأمام ، إلى الحرية ، إلى النصر ، إلى عالم أفضل . لا تسلموا أيها الرفاق ، حتى ولو هدمت المدينة ، وأصبحت قفراً يبابا تنعى من بناها ، لا ، ولاحتى لو ذُبحت الأمة كلها على بكرة أبيها ، لا ، لا تسلموا حتى ولو محيت الدنيا بأسرها ، لاتسلموا إلى أن يتم النصر لقضيتنا ! إنه لأكرم على النفس أن تلقى حتفها من أن تعيش تحت سيطرة هؤلاء البيض الأنجاس وسلطانهم .

[دوى المدافع من بعيد]

الأب : هذه هى مدافع البطاريات الثقيلة . كما يستدل من دويها . لقد بروا بوعدهم .

جورج : أتدرى يا أبى ! إننى مغتبط الآن بأننى . . .

الأب : بأنك فى عداد الأموات ؟ إنى أوافقك على ذلك ! بم ... بم ... هذه طلقات مدفع أثقل من المدافع الأولى .

بيتر : سفاحون ! سفاحون ملاعين مجرمون .

أندرو : خفض من صوتك . أمنا شرعت تعود إلى صوابها .

جورج : مسكينة أمنا . لقد اختارت لصحوها أسوأ وقت ممكن .

الأب : يطفئ الأنوار .

[« ظلام » ، المدافع تدوى وتسمع طلقات البنادق أيضاً]

صوت أندرو : أستودعك الله يا أبى .

صوت الأب : لا تخشى بأساً يا حبيبتى ، إننا معك على الدوام .

صوت جورج : إن هى إلا عاصفة يا أماه ، لا تلبث أن تمر وشيكا .

صوت بيتر : سفاحون ! سفاحون !

[دوى المدافع والبنادق . يزداد انعكاس الوهج الأحمر على زجاج النافذة بسبب اشتداد النيران المتأججة من بعيد]

الأم : [وهي ترفع رأسها] بيتر . كرس . تونى ما هذه الضوضاء ؟ أين بيتر ؟ تونى ، أين كرس ؟ كرس ألا تسمعنى ؟

[تونى على عتبة الباب]

تونى : أنت هنا يا أمى ؟ [يشير الحجرة] قد كنت أبحث عنك .

الأم : [وهي تحجب عينيها بيدها] تونى أين بيتر ؟ أو لم يعد بعد ؟

تونى : لا . لم يعد يا أمى ...

الأم : ما كل هذه الضوضاء ياتونى .

تونى : إنهم يطلقون المدافع يا أماه ، ولكن على بعد كبير من هنا كما تعلمين ، لا داعى للخوف ، سوف أكون هنا إلى جانبك [يفتح درج المائدة ليأخذ المسدس الذى حشاه كرستوفر بالرصاص] لا تخافى .

الأم : ماذا تصنع يا تونى . دع هذا المسدس . لا تقربه ولا تمسسه .

تونى : لا تنزعجى يا أمى . كل مافى الأمر ، أننى فكرت ... قال لى كرس ...

الأم : أين كرس ؟ ادع كرس .

تونى : لا تغضبى يا أمى ولكن ...

الأم : أين كرس يا تونى ؟

تونى : خرج يا أمى . أخذ بندقيته وأوصانى أن أقول لك ، لا تغضبى منه لمغادرته المنزل ولكن واجبه يحتم عليه الخروج ...

تنزل الستار ، بينما تواصل المدافع إطلاق نيرانها

الفصل الثالث

[الحجرة هي هي ، بعد أن أزيل عن جدرانها ورفوفها جميع الأسلحة والبنادق . . .]

الأم : [تزيل من الحائط آخر مسدسين ، وتضعهما داخل أحد الأدراج ، ثم تغلقه ، وتحتفظ بالمفتاح] .

انتهيت من هذا والحمد لله . لست أريد أن تظل كل هذه الأسلحة أمام تونى على الدوام [تنظر حولها] لا . لن أسمح له برؤيتها . [تذهب إلى النافذة فتحكم إغلاق شيشها] ولن أسمح له أن يطل من النافذة أيضاً [تغلق النافذة بواسطة المفتاح الكهربى الموجود بجوار المدخل] هل نسيت شيئاً ؟ [تذهب إلى جهاز الراديو] وأنت ! أظنك لا تزال مشغولا بالكلام ؟ ليس من الضرورى أبداً أن يعرف تونى

ما يجرى خارج الدار . [تتردد لحظة وهى بجوار جهاز الراديو] ولا أنا ، لا رغبة لى إطلاقاً فى معرفة ما يجرى . إننى لا أريد أن أسمع لفظة أخرى . إن ما يجرى لا يعنينى بتاتاً . [تتردد] لابد لك من مراعاة الصمت . على أنك تود أن تتكلم ، أليس كذلك ؟ تود أن تملأ رأس تونى بطائفة من الأفكار التافهة السخيفة مرة أخرى . أليس كذلك ؟ لا ، لن تصرخ فينا مرة أخرى بعد اليوم . لك أن تذيع ما تشاء ، ولكن خارج هذه الدار . أنا صاحبة الأمر هنا . ولن أسمح لك بأن تُسمع تونى سخافاتك منذ اليوم . فما رأيك فى هذا ؟ [تفتح جهاز الراديو] : ولكن تعال نسمع ما عندك .

صوت فى مكبر الصوت : [صوت امرأة مؤثر ملح] ... إنها جريمة لاتقرها العدالة . لقد داسوا جميع الاتفاقيات بأقدامهم ، وأتوا من أعمال العنف والإجرام ما يعجز عن وصفه البيان . فبدون إعلان حرب ، وبدون أقل مبرر ، وبدون أية محاولة ، أو أثر لمحاولة للتفاوض ، اجتاز حدود بلادنا جيش أجنبى — وبدون

كلمة إنذار ، وبغير سبب على الإطلاق ، وبدون إعلان الحرب ، أخذت المدافع والطائرات تضرب عاصمتنا ومدننا . ولقد اغتنم العدو فرصة الظرف الدقيق الخطير الذى تمر به الأمة لسوء الحظ ، نتيجة ما أصابها من الضعف حيال الحرب الأهلية القائمة فيها ، فانتهك حرمة الوطن بدعوى الرغبة فى إعادة النظام . من الذى منحه هذا الحق ؟ وعلى أى أساس تدخّل فى شئوننا ؟ ليس هناك حق من هذا القبيل ولا مدعاة للتدخل . إننا نذيع هذه الظلامة على جميع العالم بجميع اللغات ليكون شاهداً عدلا على مدى فظاعة هذا الاعتداء الوحشى الغاشم على وطننا الذى يعجز عن وصفه البيان . إن وطننا قد استُنزفت دماؤه وخارت قواه وأصبح فى النزع الأخير .

الأم : [تقفل جهاز الراديو] ماذا بجدياك صراخك فى وجهى ؟ إنى لا أريد أن أستمع إليك. جناية ! جناية . ألم يكن قتل ابنى رميا بالرصاص جناية ؟ أو لم تكن جناية عندما قطعوا ابنى كرستوفر ؟ مافائدة التكلم إلى عن الجنايات ؟ إنى أعرف ماهى ، أعرفها

جميعاً . إنى أم . أم شقيت بما ارتكب ضدها من الجرائم . لقد نالها منها أكثر من أى شخص آخر . طبعاً أنت لم تعرف أولادى ! وددت لو أنك شهدتهم عندما كانوا رياحين هـذا البيت وملء السمع والعين . استمرى فى صياحك ، ادعى العالم بأسره . لقـد صحت مثلك يوماً من الأيام ، ولكن أترى استمع أحد لصياحى !

[تفتح جهاز الراديو]

صوت المذيعة : [فى مكبر الصوت] لذلك كان لزاماً علينا أن نبذل كل مافى وسعنا دون أية مساعدة من العالم الخارجى . سوف ندافع عن أنفسنا حتى الرمق الأخير ، ونقيم من أجسادنا متاريس وحصونا . إن قواتنا ماضية فى قتال العدو بشجاعة المستميت اليائس . ولكنهم للأسف لن يستطيعوا أن يصمدوا أمامه مالم يأتهم المدد . إن عليكم أن تتقدموا لملء مافى الصفوف من فراغ . إننا ندعو كل مواطن للمبادرة إلى حمل السلاح فى وجه أعداء بلاده ، كما أننا ندعو نساء هذه الأمة إلى القيام بما كان يؤديه

أزواجهن وأولادهن الذين ذهبوا إلى قتال العدو من أعمال .

الأم : [تقفل جهاز الراديو . .] لا ، لاتجهدى نفسك . كلامك معى فى هذا الأمر لن يجدى فتيلا . لن أرسل إليك أحدا . وهل بقى عندى أحد أرسله ؟ لا يمكن أن أرسل تونى : إنه مايزال طفلا . إنه لم يتقرر تجنيد الأطفال بعد . وأى شأن لك فى إرسال بعولتنا وأبنائنا إلى القتال ، إنهم ليسوا أبناءك أنت ، فالزمى الصمت ولا تلحفى فى المسألة ، ألك أبناء ؟ لا تقولى لى إن لك أبناء .

[تفتح جهاز الراديو]

صوت المذيعة : [فى مكبر الصوت] . . . وليس هذا صوت إنسان ، ولكنه صوت الوطن نفسه ينادىكم أنا أمكم الوطن . أنا أنادى جميع أبنائى أن هلموا إلى الدفاع عنى . هلموا إلىّ يا أبنائى ، دافعوا عن أبنائى .

الأم : [تقفل جهاز الراديو] لا ، أنت لست أماً . ولكننى أنا كذلك ، أنا أم ، أسامعة أنت ؟ أى حق لك تجاه أولادى ؟ لو كنت أما لما أرسلتهم إلى الحرب . ولخبأتهم كما أفعل

أنا ، ولغلقت من دونهم الأبواب ولصرخت كما أصرخ : لا لن أتخلى عنهم . أقول لك الحق . لم يبق لى أحد . لم يبق سواى ، أنا وحدى ، امرأة عجوز خرقاء . لم يبق لى أحد ، لا أحد إطلاقاً . . .

[تونى يقف على عتبة الباب]

الأم : [تستدير إليه] ماذا تريد من هنا ؟ [تصرخ فى رعب ووجل] تونى ، أنت أيضاً ... ؟ [ترتمى عليه وتمرر يديها فوق جسمه] ، لا ، حمداً لله ، هذا أنت يا تونى ، أليس كذلك . إنك على قيد الحياة أليس كذلك . كم أرعبتنى . عم تبحث ياتونى؟ أنت تعلم أننى لا أريدك أن تنصت هنا ... إلى هذه المرأة ، لن أسمح لك بذلك ياتونى .

تونى : ولكن صوتها رائع يا أمى . إنه يملك على نفسى ، ويملؤنى رهبة وخشوعاً . أتعلمين ؟ إنى أكاد أتخيل منظرها . إنها ممشوقة القوام ، شاحبة اللون ، ولها عينان واسعتان جداً .

الأم : دعنا منها .

تونى : ولكنها تدعونى .

الأم : ليس هذا من شأنك فى شئ يا تونى . لتقل ما تشاء . ولكن أنت لا يجب أن

تأتى إلى هذه الغرفة بعد اليوم يا توفى .
سأوصد بابها بالمفتاح .

توفى : لماذا ؟

الأم : [وهى تجلس] أوه ، سأغلقها ، هذا كل ما فى الأمر .
سأتخذ منها خزانة أحتفظ فيها ببعض الطعام لنا ، حتى إذا قامت الحرب ، أمكننى أن أطعمك يا ولدى الحبيب . وليست هذه الحجرة بذات نفع يذكر . والحمد لله على أننى فكرت فى تخزين بعض ما نقتات به . فأنت وأنا سنعيش فى البدروم ، فى الكرار . حتى لا يستطيع أحد أن يهتدى إلينا ، وسوف يبدو المنزل كما لو كان قد خلا من أهله .

توفى : ولكن ، أمى . . .

الأم : لحظة يا توفى . لا تخشَ بأساً . سوف أخبئك على صورة لا يشعر معها أحد بأنك فى الدار . وعليك ألاّ تقدم على الخروج من البيت . لن يضيرك هذا ، وسوف تصبر على ما يسببه لك من مضايقة وسأم . سوف نصبر كلانا على

ذلك حتى تنقشع الغمة ، وتزول المحنة ، فأنت فى مخبئك لن تشعر بشئ ، حتى ولن تعرف أن هناك حرباً تدور رحاها خارج الدار . أنت لا تصلح لمثل هذا العمل ، ثم إنك أصغر سناً من أن تنغمس فيه . سوف نسترق الخطى إلى الكرار كما لو كنا فأرين ، وسوف يتسع أمامك الوقت لقراءة ما تشاء من كتب ، وتتخيل الشمس طالعة فى الخارج ، وسوف ننعم بالراحة قدر المستطاع ، أليس كذلك ؟

تونى : أماه ، أرجوك ، دعينى أذهب ، أرجوك يا أمى .

الأم : ولكن ، إلى أى مسلك يمكن أن تكون قد اتجهت بتفكيرك ياتونى ؟ لا ينبغى لك أن تتكلم بمثل هذا الكلام يا ولدى العزيز .

تونى : أتوسل إليك يا أمى ، دعينى أذهب ، أرجوك ، دعينى أتطوع للخدمة العسكرية . إننى لا أستطيع البقاء هنا .

الأم : كفاك سخفاً ياتونى . لا يمكن أن تذهب . إنك لم تبلغ الثامنة عشر بعد .

تونى : هذا لا يعنى شيئاً يا أمى . كل زملائى فى الفصل قد قرروا أن يتطوعوا . أتوسل إليك يا أمى . يجب أن تدعينى أذهب .

الأم : هراء يا بنى ، أى نفع يمكن أن تكون لهم ؟

تونى : أنت مخطئة فى هذا يا أمى . ففى مقدورى أن أكون جنديا كأى زميل من زملائى فى الفصل . ثم إننى فضلا عن هذا قد تعهدت . . .

الأم : لمن ؟

تونى : لزملائى فى المدرسة يا أمى .

الأم : أظن هذا الأمر يتعلق بأمك يا تونى أكثر مما يتعلق بزملائك فى المدرسة .

تونى : آسف يا أمى ، ولكن إذا كانوا سيذهبون جميعاً . .

الأم : فلا لزوم للذهاب إذن يا ولدى العزيز . بل تبقى هنا فى البيت .

تونى : لماذا يجب أن أبقى أنا من بين جميع الناس .

الأم : لأنك لا تصلح لمثل هذا النوع من العمل يا تونى . أنت ضعيف البنية . أضف إلى ذلك أننى لن أسمح لك بالذهاب : أليس فى هذا ما يكفى .

تونى : أرجوك يا أمى ألا تغضبى ، ولكن هذه هى الفرصة الأخيرة لإنقـــاذ كل شئ — لإنقاذ الوطن —

الأم : وهل ظننت أنك ستنقذ الوطن . هيه ! وأننا بدونك نفقد كل شئ . أهذا ما ذهبت إليه فى تفكيرك ؟ إننى لا أعتقد أن ذهابك قد يرجّح كفة الميزان إحداهما على الأخرى.

تونى : لو أن كل أم تتكلم بمثل ما تتكلمين ...

الأم : لا يدهشنى ذلك أبدا . أتراها مستطيعة أن تتقبل فكرة انتزاع أبنائها منها ، الواحد تلو الآخر ، فى هدوء واستكانة ، إنها لو رضخت لهذا عن طيب خاطر لما استحقت أن تسمى أمًّا .

تونى : ولكن أمام هذه الحرب الرهيبة الطاحنة يا أماه ...

الأم : إننى لم أبدأها يا تونى . ما من أم أشعلت نيرانها . إننا نحن معشر الأمهات يا ولدى العزيز ، لم نشهر حرباً أبدا . إن كل عملنا فيها أن ندفع أولادنا ثمنا لها . ولكن كفانى غباءً الآن ، فلن أجود لهم بالولد الوحيد الذى بقى لى . فليقتتلوا فى هذه

الحرب بدون مساعدة منى . لن أجود لهم بشيء آخر . ولن أدعهم ينتزعونك منى يا تونى .

تونى : لا تغضبى يا أمى ، ولكن لابد لى من الذهاب . أما علمت أنه قد صدر أمر ملزم بذلك . إننا جميعاً قد أمرنا بالتطوع .

الأم : إنك لم تبلغ مبلغ الرجال بعد يا تونى . إنك ما تزال طفلا وما على إلا أن أغمض عينى حتى أرى ، ماذا تظننى أرى ؟ أرى طفلا صغيراً هزيلا جالساً على الأرض يحاول أن يضع لعبة فى جيب مريلته . لا ياتونى هذا عمل سيء ، لا تفعل هذا ياتونى . أخرج اللعبة من جيبك واعطها لماما !

تونى : ولكننى لست طفلا اليوم يا أمى .

الأم : ألست طفلا ؟ تعال هنا ودعنى أنظر إليك . إذن أنت تريد أن تكون جندياً ، هيه ؟ ما أعجب هذا منك يا تونى ! أتذكر أنه كان لى ولد ذات مرة ، ولد كبير وعد بأن يكون على خلاف ما يبديه لى الآن . ولد نشأته مبغضاً للحروب ،

أليس كذلك يا تونى ؟ وكان يقول لى : عندما نكبر ونترعرع يا ماما لن يكون هنالك حروب . إن جيلنا لن يسمح بها . لن يقتل أحدنا الآخر . ولن نسمح بأن نذبح كالماشية . كيف يستحل الإنسان يا ماما قتال أمثاله من بنى الإنسان ؟ أليس هذا ما كنت تقوله لى يا تونى ؟

تونى : أجل ، ولكن هذه حرب تختلف عن غيرها كل الاختلاف ، أما ترين أنها حرب دفاع عن النفس ؟

الأم : إذن أنت تستحل الذهاب لقتل زيد أو عمرو من الناس ؟

تونى : بلى ياأماه . طالما لم يكن ثمة مناص من ذلك.

الأم : وأنت تحب أن تذهب ؟

تونى : أجل يا أمى ، إنى شديد الرغبة فى ذلك .

الأم : هأنتذا أيضاً يا تونى . حتى أنت تريد أن تتخلى عنى الآن . لقد أصبحت عاجزة عن أن أفهم أحداً ، حتى أنت يا تونى . كم قد تغيرت يا ولدى العزيز ؟

تونى : أمى ، أنت تبكين . إذن فأنت ستسمحين لى فى الذهاب ؟

الأم : لا، ياتونى . إنى امرأة عجوز . امرأة عجوز عنيدة . لن أتخلى عن ولدى من أجل أمر كان علىّ نكبة ووبالا ؛ إن هذه الحروب قد كلفتنى الشىء الكثير . لن تذهب . لن أدعك تذهب .

تونى : ولكن يا أمى ، أنت لا تستطيعين أن تتصرفى معى على هذه الصورة ، سوف أهرب . سوف أهرب منك .

الأم : [تنهض واقفة] إذن انتظر قليلا . انظر إلىّ يا تونى انظر إلىّ !

تونى : أتوسل إليك يا أمى ، أرجوك .

الأم : أتتركنى وحدى هنا . أما فكرت فيما يحدث لى . كيف أستطيع العيش بدونك إذا أنت فارقتنى . لا يمكن أن تعاملنى هذه المعاملة القاسية ياتونى ، ليس لى فى الدنيا سواك الآن.

تونى : ولكن شيئا لن يحدث لى يا أماه . لا تجزعى ؛ صراحة وحقا يا أمى ، إننى أشعر بذلك ؛ أعرف ذلك تماماً . لا أتصور إطلاقاً أن شيئاً يحدث لى .

الأم : لا ، أنت لا تستطيع أن تتصور ذلك ، ولكن أنا أستطيع تصور ذلك يا تونى . نا

أستطيع . لقد ذهبتم جميعكم كما لو كنتم ذاهبين للتنزه . وكان دائماً أبداً على لسان كل منكم : لاتخافى يا أمى ، سوف أعود إليك عما قريب . أعرف ذلك ، أعرف ذلك كله إنك لاتستطيع أن تخدعنى .

توفى : ليس فى من رغبة لأن أخدعك يا أمى . إنى أعرف ذلك ... من الجائز أن أقتل . أتعلمين أن فى استطاعتى أن أتصور كيف يكون ذلك ؟ لقد قتلت مرات ومرات منذ عقدت النية على الذهاب إلى الحرب ، حتى أصبح فى مقدورى أن أمثل هذا الدور فى سهولة ويسر ، وإنه ليأخذنك العجب ، من إتقانى له حتى إنه ليبدو واقعيا حقا . وأحيانا أرى الأولاد زملائى فى الفصل منبطحين على الأرض ، كما لو كانوا قد قتلوا جميعاً . مجموعة كبيرة من التلاميذ ممددين على الأرض ، وآثار الحبر ما تزال على أصابعهم . ولكن كل هذا لم يخفنى ، ولا حولنى عن عزمى . إننى لاأشعر بشئ من الخوف إطلاقا . وهذه علامة أكيدة ، كما علمت ، تحتم على الذهاب .

بل الواقع أنى لا أتصور نفسى أبدا متخلفا عن الذهاب إلى الحرب . فنحن جميعاً متفقون على أن الواجب يقتضينا الذهاب إلى الميدان تلبية لنداء الوطن .

الأم : تونى أتعلم ماهو واجبك ؟ واجبك أن تبقى معى . إنك تدين لى بذلك ... من أجل أبيـــك وإخوتك ... فمن المؤكد أن لى عليك حق الرعاية . أما لى عليـــك ذلك يا تونى ؟

تونى : بلى يا أماه ، ولكن ثمة واجباً أكبر الآن —

الأم : أكبر ! أكبر ! أعرف أنه لامعزة لى عندك الآن . ولعلكم جميعاً قد اعتبرتمونى شيئاً غير ذى أهمية ، شيئاً لا يؤبه به ولا يقام له وزن . إنى أعرف كل شئ عن تلك الواجبات العظيمة ، واجبـــات الرجال التى تلهجون بها : ولكن لا ينبغى لكم أن تنتظروا منى أن أوليها من الأهمية والاعتبار مثل ما تولونها — إننى أكبر سناً وتجارب من ذلك بآلاف وآلاف السنين يا تونى .

تونى : إذا أنت لم تدعينى أذهب يا أمى فسوف . .

الأم : فسوف ماذا ؟ سوف لا تحبنى منذ اليوم، أهذا ما تريد أن تقوله ؟ سوف تبغضنى ، أليس كذلك ؟ سوف تحتقرنى وتحتقر نفسك . وتبذل كل ما فى وسعك للانضمام إلى الجيش . إنى على ثقة من أنك سوف تفعل ذلك يا تونى . لك أن تبغضنى إذا شئت . ولكننى محتفظة بك معى هنا : وعند ما تضع الحرب أوزارها ستكون أول من يقول : لقد كنت على حق يا أمى . [تضع يدها على كتفه] والآن يا تونى ، ما الذى استقر عليه رأيك ؟

تونى : [متململاً من قبضتها] أرجوك يا أمى دعنى وشأنى .

الأم : فليكن . لك أن تبغضنى يا ولدى العزيز . لشد ما قاسيت فى حياتى ، فلا بأس من أن أصبر كذلك على بغضك لى . وأيا كان الأمر : فالحب أيضاً صارم قاس . اذهب إذا كنت تريد الذهاب يا تونى . اذهب ، ولكنك إذا ذهبت فسوف تقضى علىّ ... لم لا تذهب ؟

تونى : أرجوك يا أمى لا تغضبى منى . لا أدرى

ماذا أقول ، ولكن لابد من أنك قد رأيت
أن لا مفر لى من الذهاب كالآخرين .

الأم : أنا لم أر شيئاً . أنا لم أر شيئاً أبداً
سواكم أنتم ، أنتم أطفالى ، أطفالى الصغار ،
فى مرابلكم الصغيرة . لعلنى لم أستطع أن
أهضم بعد الفكرة بأنكم قد كبرتم . دعنى
أراك يا تونى . تعال هنا . شدّ ما نموتَ
وكبرت يا تونى . لقد آن لك أن تتصرف
تصرف الرجال .

تونى : نعم يا أمى لا مفر من ذلك .

الأم : إذن يكون تصرفك أسوأ ما يكون ، إذا
أنت تركت أمك العجوز الوالهة تذوى فى
وحدتها . إنه لا علم لك بما قد أعمله . سوف
أطوف الشوارع مستنزلة اللعنات على هذه
الحرب ، وعلى أولئك الذين أرسلوك لتصلى
بنارها .

تونى : أمى !

الأم : لا يجب أن تلجئنى إلى مثل هذا العمل
يا تونى . يجب أن تواسى أمك وتحميها .
لم يبق لى الآن سواك . إنى أعلم مبلغ ما تشعر
به من مضاضة وتعاسة لاضطرارك إلى التخلى

عن أمنية حبيبة إلى قلبك . ولكن على المرء أن يصبر على مثل هذه التضحيات الكبيرة.

توني : [وهو يعض على شفتيه ليحبس دموعه] بما أنه لاغنى لك عنى يا أماه ، فإننى لا أدرى فى الواقع ما أصنع ؟

الأم : [وهى تقبل جبينه] إنك شجاع يا توني . لقد كنت أعلم أننى أستطيع أن أعتمد عليك ، فأنت ذكى راجح العقـــل وفيك شهامة أيضاً . ولو كان أبوك حياً لكان بك جد فخور . والآن تعال معى . يجب علينا أن نأخذ عدتنا لهذه الحرب .

[تستند إلى كتفه وتخرج به من الغرفة . وعند ما تصل إلى عتبة الباب تطفئ الأنوار . الحجرة الآن يكتنفها الظلام . يسمع صرير المفتاح وهى تقفل باب الحجرة من الخارج وتنزع المفتاح من القفل] .

صوت أندرو : [فى الظلام] مسكينة أنت يا أمى !

صوت الأب : المسكين هو توني !

صوت كرستوفر : إنه فى منتهى التعاسة من غير شك .

[فترة صمت قصيرة . يسمع صوت الطبول من الخارج ، ووقع أقدام الجند وهى تسير] .

صوت بيتر : أتسمع هذا ؟

صوت جورج : إنهم سائرون إلى الميدان .

صوت الأب : إنهم يمشون مشية رائعة . شمال ! يمين ! شمال ! يمين ! شمال ! يمين .

صوت كرستوفر : أجل إنها تجعلك تتمنى لو أنك بين صفوفهم.

[فترة صمت قصيرة . يتلاشى صوت الطبول]

الأب : قل لى يا چورج . أما تستطيع أن تستطلع الأنباء من الراديو . ينبغى أن نعرف مجرى الحوادث .

چورج : بلى ، يا أبى .

[يفتح جهاز الراديو]

صوت رجل فى مكبر الصوت : [مكبوت مختنق] تواصل قواتنا الشرقية الانسحاب وهى تقاتل قتالا عنيفاً . وقد كف جناحها الأيمن عن التقهقر واعتصم بسلاسل جبلية ، وأخذ يقاوم العدو مقاومة شديدة فى عناد وإصرار .

صوت الأب : كل ما أرجوه أن تكون قواتنا على حذر من حركة التفاف يقوم بها العدو .

صوت رجل فى مكبر الصوت : وقد أسقطنا سبع عشرة طائرة من طائرات العدو ، وعجزت تسع من طائراتنا عن العودة .

صوت چورج : تسع طائرات مقابل سبع عشرة طائرة . نتيجة مرضية لا بأس بها .

صوت رجل فى مكبر الصوت : يواصل العدو ضرب مدننا المكشوفة ، وبقدر عدد من قتل من الأهالى المدنيين بنحو ثمانية آلاف . وليس لدينا أى نبأ حتى الآن عن مصير مدينة « فيلاميديا » التى هاجمتها طائرات العدو .

صوت الأب : اقفل الراديو يا جورج ، أسمع وقع أقدام قادمة .

[يسمع صوت صمام الراديو وهو يقفل . وبعد لحظة قصيرة يدار المفتاح فى قفل الباب وتدخل الأم الحجرة التى ما يزال يلفها الظلام] .

الأم : [تقفل الباب بالمفتاح وراءها . وتتقدم بضع خطوات فى الغرفة ثم تقف] إنى أعلم أنكم هنا . ماذا تريدون منى ؟

صوت الأب : إننا لم نأت هنا إلا لرؤيتك يا حبيبتى .

الأم : لا ، ليس لرؤيتى يا ريتشارد .

[تضىء المصباح الموضوع فوق المكتب وتتلفت حولها ترى الأشخاص الآتية أسماؤهم منتشرين فى الحجرة بعضهم جلوس ، وبعضهم واقف فى أماكن شتى متفرقة ، الرجل العجوز ، الأب ، أندرو ، جورج كرستوفر وبيتر] .

كرستوفر : أسعدت مساء يا ماما .

الأب : ألم تلاحظى يا حبيبتى ... الجسد قد أتى هنا أيضا .

العجوز : [وهو جالس فى فوتيل مرتدياً زى أبناء جيله، ويعلو صدره طائفة من الأشرطة] أسعدت مساء ياعزيزتى .

الأم : ماذا ! أنت هنا أيضا يا بابا ، إنى لم أرك من زمن بعيد !

العجوز : بلى ياعزيزتى . هأنذا ! أترينى قد تغيرت كثيراً .

الأم : لا ، لم تتغير — ولكن لماذا ...[تنظر من واحد إلى الآخر] لماذا تواعدتم جميعاً على اللقاء هنا ، أتراكم تزمعون عقد مجلس

أندرو : أوه ، لا شئ من هذا يا أمى . كل ماقصدنا إليه أن تكون معك الآن . وأن نقف إلى جانبك فى هذه الظروف العصيبة المحفوفة بالأخطار .

الأم : أواثق أنت من أنك تصدقنى القول يا أندرو؟ إنك فيما أعلم لم تعتد أن تكرس لى من وقتك شيئاً ذا غناء . ولكن فيم كنتم تتكلمون ؟

چورج : لا شئ يا أمى . إننا كنا نستمع إلى نشرة الأخبار فى الراديو ، لا شئ غير ذلك .

الأم : عجيب هذا ! غريب منكم هذا الاهتمام

بمثل هذه الأشياء الآن .

بيتر : ألأننا موتى ؟ أوه ، إننا شديدو الاهتمام بهذه الأشياء أكثر مما قد تتوهمين .

الأم : ولكن أنتم لا تستطيعون أن يكون لكم نصيب من النشاط فيها الآن ولله الحمد..

الأب : لا تدعي هذه الفكرة تتسلط عليك يا حبيبتي . فنحن نستطيع أن نعمل أكثر مما تظنين . فعند ما تثار حرب ، فإننا نحن الموتى ننشط إلى الحركة .

كرستوفر : اعلمي يا أمي أننا لسنا أمواتاً بالقدر الذي تتصورينه .

بيتر : هذا صحيح ، وكل ما يحدث نتأثر به تماماً كما كنا نتأثر به ونحن أحياء . والواقع أننا نكون السبب في حدوثه .

الأم : نعم ، أنتم السبب . أعلم ذلك . وإذا كنتم سبب الأحداث الراهنة ، فلا أرى لكم وجهاً للافتخار بها .

الأب : ولكن يا حبيبتي ، الحرب لم تنته بعد ، وقد تكون النهاية نصراً رائعاً لنا . كل ما نحتاج إليه هو المدد . إنني أشعر ببعض القلق على جناحنا الأيسر . أين وضعت

خرائطى العسكرية يا حبيبتى ؟

الأم : [تفتح درج المكتب] ها هى ذى . ماذا تريد منها ؟

الأب : هناك مسألة أريد أن أتحقق منها . شكراً

[يبسط الخرائط فوق المائدة]

كرستوفر : إن أسوأ ما نعانيه يا أبى قلة الضباط ، إذ قتل منهم عدد كبير جداً فى الحرب الأهلية . وها نحن قد بدأنا نشعر الآن بفداحة الخسارة المؤسفة ، ومساس الحاجة إليهم .

پيتر : وأنتم المسئولون عن هذا يا كرس .

كرستوفر : لا ، لم نكن نحن المسئولين عن ذلك ، ولكن اللوم يا پيتر على جموعكم العابثة المستهترة من رعاع الناس ، أولئك المنتحرين باسم السلام .

پيتر : وماذا عن مدافعكم يا عزيزى ، تلك التى تسببت فى النصيب الأوفر من التدمير .

كرستوفر : هراء . أترى كان يجب علينا أن نقف مكتوفى الأيدى بينما أنتم تعيثون فى البلاد فساداً وتخريباً ! الحمد لله على أن وفقنا إلى إنقاذ العمود الفقرى لجيشنا ، على الأقل ، من نفوذكم الشرير .

پيتر : ونحن نحمد الله على أن مكننا ، على الأقل ،

من أن نعلّم الشعب كيف يكون القتال .

كرستوفر : وعلى عصيان الأوامر .

بيتر : إن الشعب لن يصدع أبداً بأوامركم ، انتظر حتى تضع هذه الحرب أوزارها لترى صحة ما أقول .

كرستوفر : أيّا كان الأمر ، فلن يتسع أمامهم الوقت بعد الحرب لشئ من مشروعاتكم الاجتماعية الجنونية .

بيتر : لن يتسع ؟ هذا ما تظن . إنهـا الأشياء الأكيدة التى سوف يكرسون وقتهم لها . وعندئذ سوف يتبين لنا مدى نفع هـذه الحرب وحقيقة جدواها .

كرستوفر : مهلا يا أخى . إذا كان لأحد أن ينتصر فى هذه الحرب ، فإن النصر سوف يكون حليف البلد المتكامل المترابط ، غير المنشق على نفسه . البلد القوى المنظم المعتمد على نفسه . لهذا حمدت الله على قيام هـذه الحرب ، لأنها سوف تضع حداً لهذا المدّعى الغبى الذى يتحدث عن استحداث نظام عالمى جديد أفضل .

الأم : ما هذا يا أولاد ! أما تركتما التشـاجر

والتشاحن بعد ؟ أما تخجلان من نفسيكما ؟
إنكما يا پيتر ويا كرس لم تفقدا حياتكما
إلا لهذا السبب عينه . أما كفاكما ماحدث .
ماذا يقول جدكما عنكما ؟

العجوز : إنه لغز محير يا عزيزتى بالنسبة لى . ولكن
للشباب اندفاعا كما تعلمين .

پيتر : معذرة يا أمى ، ولكن طالما أن لنا قدرة على
التفكير ، وطالما أن المبدأ الذى نكافح فى
سبيل إعلاء كلمته لا يزال موضع النزاع ،
فإننا نكون أبعد من أن نزع إلى الهدوء
والسكون ، على الرغم من أننا فى عداد
الأموات .

أندرو : اعلمى يا أمى ، أننا جميعاً نواصل كفاحنا
من أجل الحق والوطن والإنسانية كأى
إنسان آخر . فنحن نطلب لقضيتنا الفوز
والنجاح ، على الرغم من أننا قد نخسر
المعركة حتى الآن ، ونحن أموات .

الأب : [منحنياً فوق الخرائط] من الميسور جداً الدفاع
عن هذا الخط . بلى والله ، إنها تكون مناورة
فذة فى الوقت الراهن . التركيز فى القلب
ثم اقتحام جناح العدو ، والالتفاف حوله .

وبعد ذلك نسوق هؤلاء الأوغاد أمامنا
وندفع بهم إلى البحر .

كرستوفر : لست واثقاً من هذا يا أبى ، فاختراق صفوف العدو يتطلب استخدام جموع كبيرة جداً من الجنود .

الأب : هذا بديهى يا بنى ، هذا بديهى . ولكن كل واحد منا سيقوم بنصيب من العمل . أليس كذلك ؟

الأم : ماذا تعنى يا ريتشاردبقولك « كل واحد منا ؟

الأب : أعنى كل واحد يا حبيبتى بالطبع — بما فى ذلك نحن الموتى .

الأم : ما أعظم ما يكون نفعكم .

أندرو : أكثر مما قد يخطرلك على بال يا أمى . إن الوطن فى حاجة إلى جميع موتاه لتأييده .

الأم : أمن أجل هذا تركتم هذه الجموع الخفيرة تسفك دماؤها ؟

بيتر : اعلمى يا أمى ، أن هذه الحرب الدائرة رحاها الآن ، تتصل بنا اتصالا وثيقا . فإذا خسرنا هذه الحرب ...

كرستوفر : يكون معنى هذا أن أرواحنا جميعا قد ذهبت هباءً . وأننا قد ضحينا بها من

أجل لاشئ، وعندئذ لا يبقى شئ يا أماه ، لاشئ حتى منا نحن الموتى .

الأم : معنى هذا أنكم جميعا تزمعون الذهاب حقا.

جورج : لا بد لنـــا من ذلك يا أمى . إن الواجب يقتضينا ذلك . فأبونا ينضم إلى فرقته القديمة

بيتر : وأنا أنضم إلى لواء المتطوعين .

جورج : وأنا ـ أظنني أواصل الجهاد مع سلاح الطيران .

الأب : وددت لو استطعت أن أضم نونى إلى كتيبتى ،

الأم : ريتشارد !

الأب : إنها كانت كتيبة رائعة بارزة يا حبيبتى . كتيبة ذائعة الصيت . كانت خسائرها فى الأرواح على الدوام أكثر من خسائر أية كتيبة أخرى .

الأم : إذن هذا هو السبب الذى من أجله أتيت إلى هنا . أليس كذلك ؟ لقد صدق حدسى . ولكننى لن أدعك تأخذ نونى ، أسامع أنت ؟ نونى لايستطيع الذهاب ، لايستطيع .

الأب : هذا يكون مؤسفا حقاً ياعزيزتى . وإنى لتأخذنى الشفقة على الصبى .

أندرو : يجب عليك يا أمى ، أن تحاولى فهم الأمور

على حقيقتها . إن تخلف تونى عن الذهاب وصمة عار عليه . وهو كما تعلمين مرهف الحس ، فلن يرتاح له ضمير مالم يقم بواجبه نحو الوطن .

جورج : ثم هو بعد كل هذا ابن عقيد بالجيش ، أبوه مات ميتة الأبطال فى ميدان القتال ، الحق أن فى تخلفه ما يوجب الدهشة . إن شرفه اليوم فى الميزان .

كرستوفر : إننا اليوم نقاتل فى سبيل الدفاع عن الوطن يا أمى . لابد له من الذهاب . إنه واجب لا محيص عن أداله .

پيتر : إننى كذلك أضم صوتى يا أمى إلى أصواتهم ، متوسلا إليك أن تدعيه يذهب . لقد كنت على الدوام من المعارضين للحروب . والواقع أننى لا أزال على مبدئى هذا ، ولكن لا مفر من مقاومة مثل هذا العنف والعدوان . إن المسألة مسألة مبدأ يا أمى .

الأم : [تتلفت حولها مذعورة كحيوان مطارد] . أنتم جميعاً تريدون أن يقتل هو أيضاً . أليس هذا ما تريدون ؟ إنكم ما جئتم إلا لتأخذوه . أليس كذلك ؟ فأنتم كلكم ضدى . كلكم .

الأب : ولكن يا حبيبتى . إن ما نريده ليس ضدك فى شىء .

الأم : بلى إنه لكذلك . لقد قدمتم كل ما استطعتم من حجج فى محاولتكم إقناعى بما تواطأتم عليه . شرف . ضمير . مبدأ . واجب . أهذا كل ما لديكم ؟ أما فى مقدوركم أن تفكروا فى شىء آخر ؟

أندرو : ماذا تعنين يا أماه ؟

الأم : فاتكم أن تقولوا : « إنك لا تفهمين ياأماه » . هذا أمر يتعلق بالرجال .

الأب : صدقت يا دولورز . إنه حقاً أمر يتعلق بالرجال .

الأم : هذا رأيك . أما أنا فقد حولته إلى أمر يتعلق بالنساء ، إلى أمر يتعلق بالأم . أخشى أن التفاهم بيننا لن يكون ميسوراً أبداً يا رتشارد . أما أنتم يا أولادى ، فأفكارى سوف تتعارض أيضاً مع أفكاركم وآرائكم على الدوام . ومن الأوفق على ما يتراءى لى ، أن نكف عن النقاش ...

جورج : ولكن ، يا أمى .

الأم : دعنى وشأنى . والآن اخرجوا من هنا .

إنى سئمت مراكم .

[تولهم ظهرها . فترة صمت قصيرة . المرق . ينظر كل منهم إلى الآخر فى ذهول]

أندرو : أمنا لا ثقة لها بنا .

الأم : إن عندى من الأسباب ما يمنعنى من أن أثق بكم يا أندرو .

أندرو : أظنك تعتبرين أننا كنا قدوة سيئة لتوفى . ولكن لعل جدنا يخبرك . . .

العجوز : من أنا ؟

[يتحولون جميعاً بأنظارهم إليه]

معاذ الله ، ماذا ترانى أقول ؟ لم أكن جنديا يوما من الأيام ولا بطلا . بل إنى لا أكاد أذكر قيام حرب ما .

الأم : أنى ، أتراك كنت مرسلا آخر ابن لك إلى جبهة القتال ؟

العجوز : أما علمت ياعزيزتى ، أننا كنا فى زماننا قوما محافظين نتبع تقاليدنا القديمة ، أما أنتم فعلى النقيض من ذلك . لقد تعودتم الحروب وكل مايتصل بها من شجار ونفار . فقتل عشرة آلاف ، أو مائة ألف ، أمر لا تعيرونه كبير اهتمام . ولكننا لم نكن كذلك فى أيامنا

كنا ننظر إلى الحرب كشئ مما يقرأ فى القصص . شئ لا يمكن أن يحدث لنا حقيقة .

الأم : ولكن لنفرض أنها وقعت يا أبى . لنفرض أنها وقعت .

العجوز : أوه ، إننا لم نكن نحسم فى زماننا ما ينشب بيننا من خلاف بإنذار قصير الأمد مثلكم ، وأما فيما يتصل بالحروب فلم نكن نعرف منها إلا ما كنا نقرأه فى الكتب . لقد تعلمنا أن مما يشرف الإنسان أن يموت فداء الوطن . ربما كنا من أصحاب المذهب القديم العتيق ياعزيزتى ، ولكن هذا كان مبدؤنا المسلم به ، وتقاليدنا التى لانحيد عنها . هذا هو الوضع الذى أتصوره بمشاعرى وعواطفى ، ولو طلب منى أن أقدم حياتى فداء وطنى لفعلت ياعزيزتى عن طيب خاطر . بل لفعلت ذلك دون مراء .

الأم : إنى واثقة من صدق ماتقول يا أبى . ولكن أكنت ترسل أبناءك إلى ميدان القتال ؟

العجوز : هذا موضوع آخر . لا يجب أن تخلطى بين الوضعين . كل ما أقوله ، هو أننى لو كنت فى مكان تونى ، لما تخلفت عن الذهاب .

إنى رجل كبّارة ، ولا أظن أنى كنت من الأبطال الذين يشار إليهم بالبنان ، على أنى لم أكن نكرة من النكرات . فقد كانت حياتى العملية مرضية كل الرضى ، فوصلت إلى وظيفة من أعلى الوظائف الحكومية مرتبة ، وأنعم على بالرتب والأوسمة ... ولكن دعينى أنظر ، فيما كنت أتكلم .

الأم : هل كنت ترسل أولادك إلى موت محقق

العجوز : آه . تذكرت الآن . الواقع يا عزيزتى أنى قد عشت حياة يمكن وصفها بأنها كانت حياة تامة حافلة ، لم يحدث أبداً أن أهملت واجبى أو قصرت عن أدائه . حتى إنى كنت أذكر بعد موتى بالثناء والتقدير . أجل ، كانت حياتى سعيدة . على أنى ، كنت أتساءل فى الغينة بعد الغينة يا عزيزتى ، إذا لم يكن قد فاتنى شئ أو آخر . هذه هى الحقيقة الصريحة التى لامراء فيها ياعزيزتى .

الأم : ماذا تعنى ؟ وما صلة كل هذا بتوتى ؟

العجوز : لا شئ يا عزيزتى ، لا شئ . إنما ذكرت ذلك لأبيّن لك ، كم فى الحياة من غرابة ؟

إنك قد علمت ولا شك أن أمك مرضت مرضاً شديداً قبيل ميلادك . والواقع أننا أخبرنا بأن نُعد أنفسنا لأسوأ الاحتمالات ، فركعت بجانب سريرها ، وإنى ما أزال أذكر ما اعتراني من الخجل يومئذ . فقد قلت لنفسي : ها هي زوجي تخاطر بكل شيء ، وبأعز شيء لتنجب طفلا تخرجه إلى هذا العالم ، بينما أنا عاجز عن عمل أي شيء لإسعافها . ما الذي فعلته حتى أستحق كل هذا ؟ فأنت ترين ياعزيزتي ، أن هذا هو ما يُقيم للحياة قيمة ووزناً . فالحياة لابد أن يُدفع ثمنها ، وقد يُدفع هذا الثمن أحياناً بالحياة نفسها . ثم إن هذا أمر مقصور على المرأة وحدها ياعزيزتي . وليس شيء في العالم يشذ عن هذه القاعدة . فلو أن الرجال لم يضحوا بالحياة من أجل الوطن والشرف والحق وما إلى ذلك ، لما كان لحياتهم تلك القيم العظيمة التي تُقيم بها . فدعي ابنك يذهب . فذلك خير له ، وهو المسلك الحق السليم .

الأم : أهذا كل ما تستطيع أن تقوله لي يا أبي ؟

العجوز : لست متأكداً من ذلك يا عزيزتى . ولكن اعلمى أنى كنت أود بجدع الأنف لو أنى استطعت أن أعمل شيئاً أساعد به الوطن فى هذه الحرب ، فلو أنى استطعت أن أرسل إلى الميدان ، على أقل تقدير حفيداً من حفدتى ، حفيداً واحداً لشعرت أنى لم أكن ميتاً تماماً عديم النفع — فأنت تعلمين أن ميتاً عجوزاً مثلى ليس فى استطاعته أن يحمل شيئاً ذا غنى فى مثل هذه الظروف ...

الأم : كيف تقول ذلك ، وأنت لم تر تونى أبداً ؟

العجوز : صحيح ، لم أره أبداً ، ولكنه من صلبى ، وذريتى . فهو إذا قاتل إنما يقاتل باسم الأسرة ونائباً عنها . نحن أسرة قديمة كما تعلمين ، ذات ماض مجيد .

الأم : لن أدع تونى يذهب

العجوز : كما تشائين يا عزيزتى ، ولكنه أمر يؤسف له . لقد كنا أسرة ذات تقاليد وماض مجيد

[فترة صمت قصيرة]

الأب : هلمى، هلمى ، ياحبيبتى ، واتركى الغلام يذهب

الأم : كيف يكون ذلك يارتشارد ! أنت أيضاً لم

تعرف تونى . فلو أنك رأيته وهو طفل رضيع لاحول له ولا قوة ، ولو أنك حملته بين ذراعيك ، وأجلسته على ركبتيك تداعبه وتدلله ، ولو أنك رأيت يديه الصغيرتين ، لكان شعورك نحوه غير هذا الشعور ، ولما تكلمت بمثل هذا الكلام . تونى لايمكن أن يذهب ، ليش له من قوة البنية مايسمح له بذلك . أنت تعرف كيف هو يا أندرو أنت طبيب ، وفى استطاعتك أن تخبرهم كم كان ضعيفا ، رقيق البنية طيلة حياته ، أما تذكر كيف كنت تصف له الأشربة المقوية ، لقد كنت له أباً يا أندرو ، أخبرهم أن تونى لايصلح للجيش ، أخبرهم ، أرجوك أن تخبرهم .

[أندرو يهز كتفيه ولا يقول شيئاً]

الأم : ألا تزكى قولى وتؤيدنى ، إذن فلتتكلم أنت ياجورج . لقد كنت أكثرهم ولعاً بالألعاب الرياضية ، وأنت تعلم كيف كنت تعيره بعدم ميله إلى اللعب . فكنت تقول على الدوام : لا خير فى تونى ، تونى ليس عنده رجولة تونى جبان . ألا تذكر كيف كنت تسخر منه

لابد لك من أن تقر يا جورج بأن صبياً عصبي المزاج كتوني لايصلح للجندية، أيمكنك أن تتصور توني جنديا فى جبهة القتال ؟

[جورج يهز كتفيه ولا يقول شيئاً]

الأم : وأنت أيضاً تأبى تزكيتى وتأييدى ؟ إذن تكلم أنت يا كرس، وأنت يا پيتر ، قولا ما تعرفان فأنتما تعلمان جميعاً مبلغ حساسيته المرهفة السقيمة، لقد كان على الدوام يشحب وجهه ويهرب منه الدم، حتى يبدو ناصعاً كصفحة بيضاء ، كلما أخذتما فى التشاجر والعراك ، ثم فجأة ينفجر باكياً . أما تذكرا كيف أغمى عليه أو كاد ذات يوم ، عندما شاهد فرساً قد قسا عليه صاحبه وسامه سوء العذاب . أى نفع يمكن أن يكون مثله للجيش ياكرس ، وأى واجب يمكن أن يؤديه كجندى ، ناشدتك الله يا پيتر أن تتكلم . فأنتما تعرفانه أكثر مما يعرفه أحد سواكما .

كرستوفر : أخشى ما أخشاه، يا أمى أن ليس ثمة مخرج من هذا الأمر . فالواقع أنه لابد من ذهاب جميع الناس إلى الميدان .

الأم : إنكم لا تحبون توفى ، هذه هى الحقيقة : ليس بينكم من يحبه .

الأب : بلى ، إننا كلنا نحبه يا حبيبتى ، نحن نحبه حباً شديداً ، ولكن الغلام سوف يحز فى نفسه ، ويستبد به الحزن والأسى لبقائه فى البيت على الرغم منه . وإنه من أجل صالحه أننا ...

الأم : إذن فليحزن وليستبد به الأسى إذا كان يرى فى بقائه إلى جانب أمه شيئاً من التضحية ... أوه حتى توفى يتنكر لى اليوم ويناى عن جانبى ، ويصرف قلبه عن حبى

أندرو : أبداً يا أمى ، إنه شديد الحب لك ، بل إننا جميعاً نحبك حباً جماً .

الأم : كف عن هذا السخف ، يا أندرو ، لا تكلمنى بمثل هذا الكلام الغث السخيف ، كيف تقول هذا ، وأنت لا تعرف للحب معنى ، ولا فى استطاعتك أن تحب احداً . ليس بينكم أحد يتيم للحب وزناً . فكلكم كنتم على الدوام فى شغل شاغل عن شئون الحب بأشياء أخرى ، أشياء أكثر أهمية فى نظركم من الحب . ولكننى كنت

على عكس ذلك تماماً . فلم أعرف شيئاً أكثر من الحب أهمية . بل أنا لا أستطيع أن أتصور شيئاً يفوق الحب أهمية ، وددت يا رتشارد لو أنك رأيت تونى عنـد ولادته . كان ضعيفاً هزيلا ذا خصلات خفيفة من الشعر تبعث على الضحك . أجل لو أنك رأيته يومئذ لما تصورت أبداً أن فى استطاعة تونى أن يذهب إلى ساحة القتال.

جورج : ولكن تونى مكتمل الفتوة اليوم يا أمى .

الأم : قد يبدو كذلك ، لك لا لى ، وهذا دليل على قلة فهمك لمثل هذه الأمور ، أما فى مقدورك أن تدرك بأن تونى هو الطفل الذى وضعته ، والذى تعهدته ورعيته ، والذى علمته أن يتكلم ، وأنا أمسك يده الصغيرة بين يدى؟ بالله أجئتم جميعاً! كيف يمكن أن تتصوروا أننى مستطيعة أن ادع طفلا مثله يغادر البيت ؟

كرستوفر : لقد تركتنا نغادر البيت يا أمى .

الأم : لا ، هذا غير صحيح . إننى لم اسمح لكم بمغادرة المنزل أبدا . ولكنكم كان لكم على الدوام عالم خاص بكم ، لم يكن فى

مقدوري أن أتبعكم إليه . مكان تلعبون فيه وتتصرفون فيه تصرف من بلغ مبلغ الرجال . أتظنون أنى أعتبرتكم أبداً قد شببتم عن الطوق ، أتتوهمون أنى تصورتكم أبداً أبطالا ، إنكم لم تكونوا فى نظرى سوى أطفال صغار عابثين مستهترين كان من سوء حظهم أن يقتلوا . وأما أنت يارتشارد، فهل تدرى كيف كنت أنظر إليك؟ كنت انظر إليك كالرجل الذى يرقد إلى جانبى ، والذى أعلم أنه ملك يمينى . كانت هذه الفكرة تغمرنى روحا وجسداً بسعادة ليس بعدها سعادة ، وفجأة انتزع منى ليقتل فى مكان ناء سحيق . أما تستطيع أن تدرك فداحة هذا الغبن ومبلغ فظاعته ، أتظن أنه كان يعنينى فى قليل أو كثير ، امتلاك رقعة من الأرض فى إفريقيا عديمة النفع والجدوى ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد فرض على أن أضحى من أجلها برجلى ...

الأب : هذا تاريخ قديم يا حبيبتى .

الأم : إنه ليس قديما بالنسبة لى يا رتشارد . كل هذه الأشياء فى نظرى جزء من أحداث

اليوم . ثم انت يا أندرو . فأنت ماتزال فى نظرى ذلك الصبى الصغير المكتئب ، الذى لايدخر وسعا فى تكلف مظهر الحكمة والعقل على صغر سنه . وكم تجولت معك فى الحديقة ويدى فوق كتفك ، كما لو كنت أستعين بك على السير . وأنت يا جورج ترى كم مرة رفوت سراويلك «بنطلونات» ؟ عشرات المرات . كان لك ولع جنونى بتسلق الأشجار . أتذكر كيف كنت أعالج خدوشك وجروحك بالمراهم كل مساء ، فكنت تقول إنها لاتؤلمنى يا أمى ، إنها ليست شيئا يذكر . ثم أنت يا كريس ...

كريستوفر : ما قصدك من كل هذا يا أمى . إنها هنات لا قيمة لها .

الأم : ما قصدى ؟ إنك أنت الذى لا يفهم . أما علمت أن كل واحدة من هذه الأشياء التى تسميها هنات ، هى حتى فى الوقت الراهن أكثر أهمية عندى من جميع حملاتكم الاستعمارية وحروبكم . وهل تعلم لماذا ؟ لأن هذه الأمور الهينة ، هى المعالم التى أعرفكم بها . إنها كانت الأشياء

الوحيدة التى كنت أستطيع أن أنفعكم فيها . إنها كانت عالمى الذى أعيش فيه . ولكن ما إن بدأتم تحشون رءوسكم بالأفكار الكبيرة ، حتى انسحبتم فى خفة ونأيتم عنى . ثم كنتم بعد ذلك لا تجرؤون على مواجهتى بحقيقة الأمور ، كما لو كانت ضمائركم توبخكم . كنتم تقولون : أنت لا تفهمين هذا يا أماه . والآن أقرأ فى عيونكم تلك النظرات الزائغة من جديد . فى عيونكم جميعاً . إنى أعلم أنكم تبيتون أمراً ما ، خطة من خططكم ، مشروعاً كبيراً .

أندرو : لا يتملكك الغضب يا أمى ، ولكن الأمر فى هذه المرة جد خطير ...

الأم : لست أريد أن أعرف ما هو يا أندرو . إذا كان يتصل بتونى ، فلست أريد أن أعرف عنه شيئاً . لكم أسبابكم ولى أسبابى . أعرف أن لكم واجبات خاصة بكم ، الشرف الوطن ولا يعلم إلا الله ، ماذا غير ذلك ...

الأب : واجبنا أيتها الأم .

الأم : بل ، واجبك أنت . وأنا أيضاً كان لى واجب ، وكنت أنت ذلك الواجب . كان

لى شرف ، وكنت أنت ذلك الشرف . كنت أنت كل ما أملك . أنت ، أنت وحدك ، ولا أحد سواك . والآن ، لعلك تشرح لى لماذا أنا ، من بين جميع الناس ، أنا ، ولا أحد غيرى أبداً ، أنا طيلة هـــذه السنوات أنا الأم — أنا المرأة ، على أن أدفع مثل هذا الثمن الباهظ ثمناً لأعمالكم العظيمة ؟

الرجل العجوز : مهلا يا عزيزتى ، لاتحنقى عليهم .

الأم : لست محنقة عليهم يا أبت ، إنما أنا محنقة على العالم . إن أطفالى يرسلون على الدوام إلى مثيتهم فى سبيل قضية أو أخرى ، فى سبيل المحبة ، أو خلاص البشرية ، أو مايطيب لكم أن تطلقوا عليها من الأسماء والنعوت ، ولكن هل تقدم العالم ؟ هل أصبح عالما أفضل ؟ وهل كان من وراء ذلك أى منفعة؟

الرجل العجوز : بلى يا عزيزتى . لم يكن عن ذلك محيص . لقد دعمت الأساس لأروع التقاليد ، وهو أمر من الأهمية بمكان ، كما تعلمين .

الأب : إننى أعلم ياحبيبتى ، كم قاسيت وتعذبت . ولكننى عندما أنظر إليك الآن . . .

الأم : لا تنظر إلى يا رتشارد . لا تنظروا إلى يا أطفال . إن منظـــرى كئيب مخيف عندما أكون غاضبة .

الأب : إنك سريعة الانفعال كما تعلمين . على أنك أنت نفسك ما كنت لتحجمين أمام الموت إذا لم يكن من ذلك محيص .

الأم : ولكن اقتحامى للموت لا يكون إلا من أجلكم ، ولا لشىء آخر أبداً . من أجل زوجى ، من أجـــل أسرتى ومن أجل أطفالى . إننى امرأة ، فنّ غير هؤلاء يمكن أن يهمنى أمره. لا ، لا ، لن أدعكم تنتزعون منى تونى .

[فترة صمت قصيرة]

أندرو : أتعلم يا أبى ، إنها على حق من بعض الوجوه . فتونى حقيقة ضعيف البنية ضئيل الجسم .

چورج : إن اضعف ما فيه شخصيته . فهو سريع الانفعال . وفى الوقت نفسه شديد الهلع . والواقع أننى لا أعرف أحداً فى مثل سنه مجردا من كل جرأة وإقدام مثله .

كرستوفر : إنها حالة لا يملك لها دفعاً يا چورج .

فأعصابه مختلة . إن تونى حقيقة حسن التصرف واسع الحيلة ، ولكنه عصبى المزاج إلى حد بعيد ، حتى إننى لأتساءل أحياناً عما قد يؤول إليه مصيره .

بيتر : هذا أمر يؤسف له كل الأسف . لأنه بهذه الحالة لن يصلح لشىء أبداً .

الأم : لا ينبغى لكم أن تتكلموا بمثل هذا الكلام ، إنكم تقسون عليه ولا تنصفونه . رتشارد لا تُعير قولهم هذا أى التفات . إنهم لم يقدروه أبداً حق قدره . تونى مرهف الحس ، هذا كل مافى الأمر . أما فيما عدا ذلك ، فعنايتى به ورعايتى له قد أفادتاه كل الفائدة . وإنه ليسرك أن ترى كيف ترعرع ، وأصبح فتى قوياً صحيح الجسم . والواقع أنه أراد أن يتطوع فى الجيش ؛ ولكم توسل إلى أن أسمح له فى الذهاب ، ولكننى أبيت عليه ذلك ، ولم أدعه يذهب . وإذن فلا لوم عليه ولا تثريب .

الأب : ولِمَ لم تدعيه يذهب يادولوريس ؟

الأم : لأننى لا أريد أن أترك وحدى . قد يكون ذلك عن أثرة منى ، ولكن لى بعض العذر

فى ذلك فتونى هو كل من بقى لى اليوم يارتشارد . إنى أتوسل إليك أن تدعنى احتفظ به ، لأنه لو ذهب لما بقى لى شئ أبقى على الحياة من أجله . لاشئ إطلاقاً دعه لى ، اتركه يعيش معى ، أتوسل إليك ، اتركه من أجلى ، ومن أجل أمك . إنها حزينة مكتئبة . ومكدودة منهوكة القوى ، أرجوك ، أتوســـل إليك ، قل لى أن لادا عى للذهاب تونى . قل لى إنك موافق . أما تسمع ما أقول ؟

[فترة صمت قصيرة]

الرجل العجوز : رباه ، إنه لموضوع معقد شائك . يجب أن تتمالكى أعصابك ياعزيزتى ، فقد لا يكون ثمة ما يدعو للذهاب تونى بعد كل هذا . ربما يكون قد فات الأوان . وربما نكون قد خسرنا الحرب وانتهى الأمر .

الأب : [وهو منحن فوق الخريطة] لا يا أبى ، لم نخسر المعركة بعد . إن من المستطاع أن نواصل الاحتفاظ بخط القتال هذا ، إذا أمد بكل ما يمكن الحصول عليه من الرجال لتعزيزه .

بيتر : إننى واثق من أن فى استطاعتنا الاعتماد

على الشعب . إنهم مسلحون ، وسوف لا يحجمون على استعمال بنادقهم فى الشوارع والطرقات . سوف ترى أن الجميع يقومون بما يقتضيه واجب الدفاع عن الوطن ، حتى الصبية منهم . إنى على يقين من أنهم سيحملون البنادق التى كان يحملها آباؤهم قبلهم .

كرستوفر : [وهو يلتفت حوله] أين وضعت الأسلحة التى اعتدنا وضعها هنا يا أمى ؟

الأم : ماذا تقول يا حبيبى ؟

كرستوفر : ماذا فعلت بسيوف أبى وبنادقه ؟

الأم : لقد خبأتها لكى لا يهتدى إليها تونى .

كرستوفر : هذا مما يؤسف له . فإحدى هذه البنادق كانت فى حاجة إلى التشحيم .

جورج : [يفتح أحد أدراج المكتب، ويخرج منه كراسته القديمة ويقلب صفحاتها] من المؤسف حقاً أن الوقت لم يتسع أمامى لإتمام هذا التصميم الذى شرعت فيه . إن الفكرة فذة فريدة فى بابها .

[يجلس والكراسة فى يده]

الأب : [سهكماً فى دراسة الخريطة] وددت لو أننى المدافع عن هذا الموقع . إنه ممر جبلى

بتبع طائفة من الاحتمالات الرائعة .

كرستوفر : خبرني يا أمي ، أين وضعت هذه البندقية ؟

الأم : ماأشد إلحاحك [تفتح الخزانة الخشبية] هاهي !

كرستوفر : شكراً [يتناول البندقية ويفحصها] سوف تكون صالحة للاستعمال بعد أن أنظفها قليلا .

[يشرع فى تنظيفها فوق المائدة بخرقة وبعض الشحم]

الرجل العجوز : والآن يا عزيزتى . ها أنت قد التف حولك جميع أفراد الأسرة تقريباً .

پيتر : أسمعت هذا ؟

چورج : سمعت ماذا ؟

پيتر : هذا الصمت . هذا السكون !

أندرو : بلى ، إنه الصمت الذى ينم عن أن أحداً من الناس على وشك أن يلقى خطاباً .

پيتر : من [ينظر بعضهم إلى بعض ثم يتحولون بأنظارهم إلى جهاز الراديو] آه ، أنا أعرف .

الأب : [رافعاً رأسه] ما الخبر ؟

[ينظر فى قلق إلى ناحية مكبر الصوت]

[فترة صمت قصيرة]

الأم : أظنكم ترغبون فى الاستماع إليه . لا شئ يسترعى اهتمامكم الآن سوى الحرب .

[تدير مفتاح جهاز الراديو]

كرستوفر : عند ما تكون رحى الحرب دائرة يا أمى ، فإنه لا يكون ثمة اعتبار لشئ آخر .

صوت رجل فى مكبر الصوت : وطليعة الجيش تقترب من النهر . وقد نسفت كتائب المتطوعين الكبارى ، وأخذوا أهبتهم للدفاع عن رءوس المعابر إلى آخر رجل منهم . إذ يجب صد العدو ، ومنعه عن التقدم بأى ثمن . والمتطوعون يبعثون إليكم بالرسالة الآتية : لقد وطنا النفس على أن نموت ولن نتقهقر .

صوت امرأة فى مكبر الصوت : إننا ندعو جميع الرجال إلى حمل السلاح . ندعو جميع الرجال . فقد أصبحنا نحن الأشخاص لاقيمة لنا ولا اعتبار . فنحن لا نقاتل اليوم من أجل أنفسنا ، ولكن من أجل وطن الآباء والأبناء ، فباسم من ماتوا ، وباسم الذين فى الأرحام ندعو الأمة جميعاً إلى حمل السلاح .

الأم . : لا ، تونى لن يذهب إلى القتال ، لن أدعه يذهب .

صوت رجل فى مكبر الصوت : جاء فى تقرير للقائد العام للقوات الشمالية أن معارك جديدة قد نشبت مع مؤخرة الجيش وأننا ماضون فى القتال عن كل شبر من

الأرض ، وكل عوسجة ، وكل كوخ ، وإن
الفلاحين فى القرى قد رفضوا مغادرة
منازلهم وأكواخهم ، وإنهم يدافعون عن
أنفسهم بقوة السلاح ، حتى اضطُر العدو
إلى تدمير كل قرية ، وكل مسكن منعزل
فسواها جميعاً بالأرض، وتركها خراباً يبابا .
والخسائر فى الأرواح فادحة غاية الفداحة .

أندرو : كم أرثى لمصير هؤلاء التعساء !

الأب : دعنا من أمر هؤلاء الآن ، هـذه هى
المناورات السليمة ، وهى كفيلة بوقف
تقدم العدو ، ومنعه عن مواصلة زحفه .

صوت امرأة فى مكبر الصوت : وصلتنا للتو والساعة
رسالة لاسلكية من سفينة التدريب
« جورجون » ، فنرجو السادة المستمعين
أن ينتظرونا لحظة ريثما يتم حل الشفرة...
سفينة التدريب جورجون . . . يا رباه
[إنها تجنح إلى الترق] أرجو السادة المستمعين
أن يسمحوا لى بلحظة قصيرة فلى ابن
على ظهر السفينة المذكورة .
[فترة صمت قصيرة] . حاولت السفينة
جورجون ، وعلى ظهرها أربعمائة طالب

بالبحرية أن تخترق الحصار الذى ضربه الأعداء، لتعود إلى قاعدتها فى الميناء . ولكنها أصيبت بطوربيد أطلقه علينا العدو ، فى الساعة الخامسة وسبع دقائق . السفينة آخذة فى الغرق .

[تنهد عميق] طلاب السفينة يرسلون آخر رسالة لاسلكية إلى الوطن . إنهم يطلبون سماع ... عزف نشيدنا القومى ... للمرة الأخيرة . آه يا بنى ، يا ولدى .

الأم : ما هذا ، أنت أيضاً لك ولد ، أنت أيضاً لك طفل !!

صوت رجل فى مكبر الصوت : وبهذا تنتهى إذاعة الأنباء .

نحن ننادى سفينة التدريب « جورجون »
نحن ننادى السفينة « جورجون » الو ،
الو ، أتسمعوننا اسمعوا يا طلاب
الـ « جورجون » اسمعوا بانتباه . إن وطنكم
يرسل إليكم بتحيته الأخيرة يا طلاب
الـ « جورجون » وعظيم تقديره .

[يسمع عزف النشيد القومى من مكبر الصوت . ينهض جميع الموتى فى صمت ويقفون وقفة انتباه]

الأم : أربعمائة غلام ! كيف يسمح بمثل هذه

المجزرة البشرية بجزرة فتيان فى ربعان الصبا .

بيتر : أرجوك يا أمى ، كفى عن الكلام الآن .

[كلهم يواصلون وقفة التعظيم العسكرية حتى نهاية النشيد]

صوت امرأة فى مكبر الصوت : لم تصلنا رسائل أخرى من سفينة التدريب « جورجون » .

كرستوفر : وداعا ياطلاب ، [يعلق بندقيته على الحائط]

صوت رجل فى مكبر الصوت : إننا ندعو جميع الرجال ، تدعو الأمة إلى القتال ، الوطن ينادى أبناءه ، إلى السلاح ! إلى السلاح !

الأم : ما هذا أما تزالين تصرخين ؟ أما قنعت على الرغم من أنك أم ، أتريدين أن تبعثى بآخرين ؟

صوت رجل فى مكبر الصوت : نذيع عليكم نص البلاغ الصادر من القائد العام لقوات المنطقة الغربية :

نواصل القتال على طول خط القتال ضد قوات تفوقنا فى العدد اضعافا مضاعفة .

وقد حمى وطيس القتـــال من الجانبين بصورة شديدة للغاية . وأبلغ طيارونا اقتراب كتائب جديدة من كتائب العدو .

[طرق على الباب]

صوت تونى : أمى ، أمى ؟

الأم : [تقفل جهاز الراديو] سكون .
[طرق على الباب]
صوت تونى : أمى ، أأنت هنا يا أمى ؟
الأم : نعم يا ولدى العزيز [تشير إلى أحدهم ليطفىء النور] أنا آتية [ظلام - فترة صمت قصيرة]
الأم : [تفتح قفل الباب] ماذا تريد من هنا يا تونى ؟
صوت تونى : أنت هنا فى الظلام يا أمى
الأم : أضىء النور .
تونى : [يضىء النجفة من المفتاح الموجود بجانب الباب : الحجرة خالية من كانوا بها . ولكن الخرائط ماتزال مبسوطة على المائدة]
مع من كنت تتكلمين هنا يا أمى ؟
الأم : لا أحد يا عزيزى .
تونى : ولكنى سمعت أصواتاً هنا .
الأم : كان هذا ... صوت الراديو لاغير
[تفتح صمام الراديو من جديد]
تونى : ولم وضعت هذه الخرائط هنا ؟
صوت رجل فى مكبر الصوت : تعلن هيئة أركان حرب القيادة العامة ، أن طائرات الأعداء أغارت فى الصباح الباكر اليوم على مدينة « فيلاميديا » فدمرتها عن آخرها . وبلغ عدد ضحايا الغارة نيفا وثمانمائة شخص من الأهالى ،

معظمهم من النساء والأطفال ، وقد دمرت النيران قصرنا القديم فيها ذا الذكريات التاريخية العزيزة علينا .

توني : أسمعت هذا يا أمي ؟

صوت رجل في مكبر الصوت : أصابت مستشفى المدينة قنبلة من الجو ، وهلك ستون من نزلائه المرضى وأصبحت المدينة كلها طعمة للنيران

توني : أتوسل إليك يا أمي ..

صوت امرأة في مكبر الصوت : إننا نشهد جميع العالم . نشهد البشرية أجمع على هذا العدوان الآثم ، فقد أغارت طائرات العدو صباح اليوم على قرية « بورجو » وألقت قنابلها على مدرسة القرية . وبينما كان الأطفال يتلمسون النجاة حصدهم العدو بمدافعه الرشاشة فجُرح ثمانون طفلا ، وقُتل تسعة عشر طفلا . وتطايرت في الجو أشلاء ثلاثين طفلا

الأم : ما هذا الذي تقول ؟ أطفال ؟ أهم يقتلون الأطفال الآن ؟

توني : [يتفحص الخريطة] أين موضع هذه القرية ؟ أين موضعها ؟

الأم [منتصبة كما لو كانت قد تحولت إلى صخر]

أطفال ! أطفال كأبنائى عند ما كانوا
أطفالا . أطفـــال بشعورهم المشعثـــة
ووجوههم المتسخة ؟

الأم : [تخطف البندقية من مكانها على الحائط ، وتدفعها فى يدى توفى المتدودتين ، وبحركة كاسحة من ذراعيها]
اذهب

ينزل الستار

مطابع كوستاتسوماس وشركاه